مِثارات فصول

جمالالغيطانى

منتصف ليل الغربة



جمال الغيطان منتصف ليل الغرية





مختارات ف صول سلسلة أدبية شجرية تصدرعات الحديثة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة د . عزالدين الشماعبيلُ

إشراف

سليمان فياض

تصميم الغلاف : حسين ابو زيد الاشراف الفنى : راجيـة حسين

أغسطس ١٩٨٤

وقائع حارة الطبلاوي

# مذكرة ايضاحية حول واقعة رقم ١٠٦ قسم الجمالية «القاهرة»

انه في يوم الاثنين ، وفي التاسعة صباحا ، حضر الى قسم الممالية عدد خمسة أشخاص ، من سكان حارة الطبلاوي ، ثلاثة ذكور ، واثنان اناث وبيانهم كالآتي :

ا ـ حسن آفندى متولى: موظف بادارة مكافحة الدودة،
 قسم الفقس ، وزارة الزراعة •

۲ \_ فارس سعد (الشهير بأبي قورة) : صاحب مقهي
 بالسينية :

٣ \_\_ شــمعه لطفى : حكيمــة بمســتشفى الأزهــار
 النموذجية •

٤ ـ عويس يونس: فران بناحية كفر الزغارى \*

 محاسن حسن : مدرسة ابتدائى ، تعمل بمدرسة النحاسين الابتدائية •

و تولى حسن أفندى متولى الحمديث نيابة عنهم ، فأدلى بالبلاغ التالى :

« انه منذ ستة آيام قام دحروج النمرسي ، اعتبارا من الساعة الواحدة صباحا ، وحتم السابعة ، بدون انقطاع ، يمخاطية آهالي الحارة مستخدما بوقا مما يستعمله شرطة المرور في الميادين والطرقات العامة ، وسبب ازعاجا للسكان ، علما بآنه يبتدىء كلامه بعبارات بذيئة ، تسب أهالي المارة كلهم ، وتصفهم بأقبح الألفاظ ، و انتنها و تمس العرض والشرف ، و نتج عن هذا اقلاق راحة المرضى ، والاضرار بصبحة الحاج أحمد العتر تاجر الورق ، الذي يعالج منذ عامين يسبب أعصابه ، ولما زاد الحال ، توجه اليه عدد من سكان الحارة وجيرانه القسدامي ، وطلبوا منه الكف فردهم بعنف ، وطالبهم بفعل مافي وسعهم ، وكرر مرات أنه حر ، ولايعنيه آحد ، ولايوجد نص قانوني يعاقبه -لأن الجهاز الذي يستخدمه لايخضع للقيود المفروضة على استعمال مكبرات الصوت الكهربائية ، وذكر أرقام مواد ونصوص قانونية ، ثم حدثهم عن ماضيه الطـويل ، اذ

عمل جنديا في الخدمة السرية لقبوات الأمن العام ، وأعلن (هناك شهود على ماقاله) ، آنه خرب بيوتا عامرة خلال خدمته ، وأن أحد أقاربه يعمل الآن بمنصب هام للغاية ، ويقوم بتمزيق كافة الشكاوي المرسلة ضده بعد اطلاعه عليها واحدة ، واحدة ، ثم أغلق الباب بعنف . وفي الواحدة صباحا بدآ حديثه اليومي ، قذف من جاءوه واحدا واحدا بالفاظ بديئة ، وعبارات غريبة ، عندئذ أطل بعض المسنين ، صاحوا عليه راجين السكوت، واحترام الجوار • فالنبى عليه الصلاة والسلام أوصى على سابع جار ، وهنا زاد بداءته وسبهم بالفاظ تخدش رجــولة كل منهم ، وأطلت غويشة امـــرأته لأول مرة ، وأعلنت وقوفها بالمرصاد لكل من تسول لها نفسها التهجم عليها ، أو على زوجها • وقالت انهـا صاحبت حــريم الحارة والحي آربعين عاما ، جمعت لزوجها دحسروج معلومات تكفى لسد كل بيت بالجبس ، ثم ذكرت أمثلة، وسبب وقوع مشاجرات بين أفراد عائلات لم يسمع لهم حس من قبل ، مما اضطر السكان بعد ستة آيام من العذاب المتصل اللجوء الى الشرطة ، وأنهى حسن أفندى أقواله مطالبا الأمن العام بالتدخل لحماية الأهالي من المذكور وامراته غويشة ، فالبيوت العامرة تكاد تخرب .

ومن ناحية أخرى أفاد مسعد أفندى القاطن أسفل المذكور ، أنه سمع مكبر الصوت أول ليلة وقيل فيه : وآلو • آلو • واحد • اثنان • ثلاثة • الخيم، وتلاوة البسملة عدة مرات ، وبعض آيات الذكر الحكيم، عندئد طلع الى دحروج ظنا منه أن مصابا وقع ، مصا استدعى تجربة مكبر الصوت فى هذه الساعة المتأخرة تمهيدا لتلاوة القرآن فى اليوم التالى ، وعندما طرق الباب فتحت غويشة وقالت بدون مقدمات «أخيرا حانت الساعة» ، ولم تدع فرصة لمسعد آفندى كى يستفسر عن أى ساعة تقصد «انما آكملت» دحروج سيحقق ما انتوى • قل لجرانك ، وجيران جيرانك • أخيرا • مانت الساعة • ثم أغلقت الباب بعنف ، وأقسم مسعد أفندى على صحة ماحدث بفتحه المصحف على سورة أفندى على صحة ماحدث بفتحه المصحف على سورة ياسين ، ووضعه على عينيه وأقسم يمينا •

كما قدم المدعو فارس الشهير بأبي قورة ، شريطا سجل عليه بعض من أقوال المذكور عن طريق المكبر ، دتم تفريغ معتويات الشريط» واستعان بجهاز تسجيل ماركة جروندج خصصه لاذاعة أغاني أم كلثوم على زبائن المقهى ، وأفاد الجميع بأن الحارة لم تعرف القلاقل من قبل ، وتعد من أهدا الحارات وأقلها في عدد المشاغبات

والموادث نادرة بها ، وسكانها مسالمون لايميلون الى ازعاج الغير ، ويحترمون القوانين والجوار الذى لايقل بالنسبة لاحدثهم عن عشرين عاما ، وآبناؤها التلامين متفوقون ، ومنه عشر سهوات جاء ترتيب سهيد ابن الحاج نصيف الثالث على شهادة الاعدادية (وطالبوا باجراء بحوث وتحريات تثبت ههذا) والآن لايستطيع الطلبة استذكارا ، بسبب أعمال المذكور دحروج وامرأته غويشه» •

#### ملحق ١

ومعتويات شريط مسجل عليه بعض أقوال المذكور، ولم يتضح في هذه التسجيلات، هل تمت ليلا أو نهارا، ولم يعرف تاريخ كل منها، برجاء وضع ذلك في الاعتبار»:

ا ـ • • الا اذا اطلعتم بانفسكم ، ورايتم مارايت ، وهذا مستحيل ولم يتوفر لانسان قبلى ، أذكركم هنا بالمهن المديدة التي عملت بها ، اتقنت كل منها ، قضيت بها زمنا ، أذكركم بآخر أعمالى ، خدمتى خمس عشرة سنة في صفوف الخدمة السرية بالأمن العام ، تنقلى بين جميع المديريات ، والمراكز والقرى ،

سفرى الى بعض بلاد العالم فى مهام خفية ، لن أتحدث عن تفاصيلها الآن ولكن سيحين الوقت ، ستذهلون ذهولا عظيما وتقولون ، كيف عاش بيننا ؟ اكثر من ثلاثين عاما تواجدت بينكم ، هل شعرتم بى ؟ هل عرفتم أمرا واحدا عنى ؟ هل سمعتمونى أتحدث عن أحد بما لايليق ؟ طال صمتى والآن يمكننى قول مافى قلبى وعقلى ، ستجدون كلامى شيقا ، البعض سيضيق به مؤقتا ، لكنهم فى النهاية سيوجهون الى شكرا ، لأننى قومت حياتهم وأظهرت ماتعرفونه ولكنكم تتجاهلونه، قومت عياتهم وأظهرت ماتعرفونه ولكنكم تتجاهلونه، خبرة عمر مثلى ؟ من أمسك ببواطن الأمور ؟ من أدرك الحقائق الخفية مثلى ؟ •

٢ ـ ٠٠ يامعلم يونس ، والله آرثى لك ، سخرت منى ولن آرد عليسك خندها منى نصيحة ، آنا الأحب السجار ، ولا الوقوع فى مشاكل ، طول عمرى لم أقع فى مشكلة ، لم آقدم كمتهم إلى أى مسئول ، الأننى من زمن طيب ، زمن حلو ، زمن عائق ، رائق ، غير زمانكم الموحل ، الأغير ، لكننى سأقوم المعوج فيه ، آدبر أموره وأوجهه ، يامعلم يونس ، آنا لن أفضحك لكننى أنبهك الى ماغاب عنك ، طبعا تعرف دكان المعلم ماهر المتجد

فى بيت القاضى ، كلنا ، كل آهالى حارة الفقر هذه - كلنا نعرف يامعلم - من يدخل بيتك بقرطاس الفاكهة كل أحمد وآربعاء آنت تخرج حوالى العاشرة ويستلم مكانك فى الثانية عشر ، العيون تحفظ منظره بالجلباب الأبيض ، بخواتم الذهب والصندل البنى ، الحارة كلها تعرف ولا أحمد يخبرك ، لماذا ؟ لأن ، سكانها عندهم ما يكفيهم - و - -

(ضبعة ، تصفيق ، أشياء تسقط ، أصوات ٠٠٠)

" - " قبل اى كلام ، انتبه ياحسن افندى ، ياراجل يادودة ، انا لايفوتنى شيء ابدا " مامن نفس زائد لديكم الا احميته ، مامن همسة الا وترجف طبلة اذنى هنا ، الا تعلمون أن جدى كان عالما كبيرا فى الازهر وانه ترك لى مخطوطا قديما وعلمنى كيف أستخدمه ، فاعرف منه المستقبل الاتى ونهاية اعماركم، الا تدركون اننى تلقيت آمرا بالمديث اليكم عن طريق هذا المخطوط ، يمكننى آن آنبىء كل منكم بيوم يحين فيه أجله ، ومن لديه هذه المقدرة لاينيب عنه ذهابك الى قسم الجمالية ، تزعمك وفدا ضدى " شكوتنى ، طلبت البقاء اسمك سرا وهذا جبن ، العجيب آنكم جميما جبناء ، هذه سحة يتيمة توحد بينكم ، اذا خفت منى جبناء ، هذه سحة يتيمة توحد بينكم ، اذا خفت منى

أنا الفقير الضعيف الذي ناهز السبعين فلماذا لاتخش الله خالقي وخالقك؟ بلغني ماقلته عنى آمام مقهى البنان ، ماجرحت به امراتي غويشة ، تهديك باقاربك في وزارة التحوين ، ماذا تظنهم فاعلين؟ اعلم ياحسن • وياهالي حارة الطبلاوي الكرام ، أن ابن خالة امراتي غويشة كونستابل ممتاز ، ولاينقطع عن زيارتنا ويرجوني كثيرا أن أرد زياراته لمدرجة آنئي خيلت منه واعلموا أن علبة سبجائره تحت أمرى ، أسحب منها وقتما أشاء ولكنني لاأستمين به قط على أعدائي ، لأن أحدوالي وآموري التي لن آبوح بها قط تحميني و تبعلني • • • • •

«امرأة»: الرأى لك يادحروج ٠٠

لن أرد على ماقاله الحاج سنوسى باثع العطر •

«امرأة»: وصفك أوصافا دنيئة يادحروج -

- لن آخرب بيت ياغويشة ، لن آذكر مصنع العطور الصنع داخل شسقته • الحاج يتهرب من الضرائب ياغويشة ومن التآمينات الاجتماعية ،ويستخدم أولادا صفارا •

«امرأة»: ياخبر • والنبى لاأعرف هذا كله ، تصور أنه يلف على صفوف المصلين في الحسين • يمسح أيديهم بالعطر ويبيع زجاجات صغيرة يقول عنها • بركة من المدينة المنورة •

٥ \_ • • ياأهالى الطبلاوى ، يامساكين ، ياوجوه النحس ، ياأشــقياء عندما اطهر حياتكم من الكنب ، عندما أزيح عنكم النفاق والاضطراب ، وانظم أموركم بطريقتى ، سانزل اليه ، واطلب منكم أن تحكموا عليه ، و تلقنوه درسا •

أ س م مثلا ، امرأة عمى يدوى عساس البهائم في الأسواق تتحدث دائما عن أقاربها في مصلحة السكك الحديدية ، والدى ، والثروات الطائلة ، دائما تكلمكم عن أهل زوجها الأشقياء الذين نهبوا نمينه في الميناث ، عم بدوى يرفع عليهم القضية ، لهسدا فثمة ثروة ستأتيه يوما ، عندئد تشترى الست نميمة بيتا في مصر الجديدة حوله حديقة ، وتملأه آثاثا فاخرا وتفارق الحارة القيدرة ، وأهلها الانجاس ، ياأهالي الطبيلاوى البلهاء ، لانني أعرف كل كبيرة وصغيرة لأنني أعلم خباياكم ، ماتظهرون وماتبطنون ، لهنذا ساقول لكم الحقيقة ، السبت نميمة التي تتعالى علينا ، تحدثنا من

طرف أنفها ، لا أقارب لزوجها كما تقول ، لهـــا أخت صغيرة لاتدرون عنها شيئا أسمها راجعة ، وتسكن بدروما قديما في حارة سيدي معاذ ، زوجها بائع هريسة متجول ، وحتى التزم الدقة ، اقول انه يبيع بطاطا فهو يمثلك فرنا فوق عربة يد ، راجعة تساعده في كسب الميش ، هل تدرون كيف ؟ عندما تتشاجر امس أة مع جارتها تذهب اليها ، تمنحها قروشا قليلة ، أو ، قطعة لحم في رغيف وتستعين بها ، آخت السب نعيمة لها محاضر عديدة في البوليس ، وعندما تقل المساجرات تحترف النمدب ولطم الخمدود وراء المموتي ياأهمالي البلاوى ، ياأكذب خلق الله في زماني البعيد الطيب ، وأين أنتم من زماني ؟ أمشالكم لايسمح لهم بالعيش فيه ، أه ٠٠ راح زماني الأخضر ، آيامه هنيات ، كنا في الليل نسمع الأغاني في المقاهي الدافئة ، نشرب الزنجبيل والقرفة ، نصلي الفجر ، في نفس هـنه المـارة ينزل الرجال يصيحون على بعضهم ، كل منهم ينبه الآخر ، وفي الليل الرائق تسمع القباقيب ، والماء والوضوء ، ثم نخرج جماعة الى الحسين ، ونقابل النهار بوجوه سمحة ونفوس راضية • في زماني رأيت الأمان ذاته • لا انسان يخاف على ماله أو أولاده أو بيته ، وكلما رأيت مايجرى بينكم يسركني والله رعب ولكتني ملازمكم حتى أقوم المعوج وأعيد السديرة الصافية هنا في حارة الطبادوى وليلحقنا باقى الدنيا ، لن أسمح بتكرار ماقامت به الست نعيمة عندما زارت جارتها أم سهير ، وعندما دخلت لتمد شايا ، مدت يدها ودست ورقة نقدية قيمتها خمس وعشرون قرشا في صدرها ، أنا الآن أدفع التهمة عن مجدى الابن الوحيد للست سمهر والمتهم ظلما ، والمهم محدى لن أطيل عليكم . .

۲ ــ «أصوات من تفعة» ياكلب ما د مه داد مه دا

٨ .. • أرجوك يامسعد أفندى آلا تتساءل ماوصلنى وصل وانتهينا ، وأنا واثق أنك وحدك تعلم مقدار النقود التى تغبئها ، الفلوس الغضية القديمة ، الفضسة المقيقية , فئة القرشان والخمسة قروش ، والمشرة • أعرف عدد علب الصفيح المصفوفة فى منزلك ، وهوايتك ليلة الجمعة عندما تفرغ العلب من محتوياتها ، وتنشىء أكواما من النقود ، تغير أشكالها ثم تشاء ، ثم تنسل النقود كلها فى طشت نعاسى كبير ثم تنام نوما هانئا ، بسببهذه القطع من العملة والنقود الأخرى التى لن آذكر مكانها \* لم تتزوج ، ذاب عمرك فى عملك • أذكرك بما فعلته الست نعيمة عندما سرقت

مبلغا تافها من أم سهير! تمال نبحث عن السبب معا ، ثم دعنى أقل لك كيف نمنع وقوع هذا •

٩ - • • ياولد ياجابر ، ياسعيد ، زمانكما اجرب، لم تدوقا طعم النساء ، لم تستمتعا باى شيء ، لو بيدى لحررت لكما جوازى سفر تهاجران بهما الى زمنى الأول، فيه عرفنا الأبكار المقيقيات ، رآينا المياء على حقيقته ، دقنا المتمت ، الأنوثة الريانة ، كل ماتنالانه وقفة بلا جدوى أمام مدخل الحارة ، أصنيا الى •

• ١ ــ وأثناء قيام السيدة لواحظ •

۱۱ ـ • • أحمد العطار الشاب العفى الذى يركب الكبير قبل الصغير ، الفائح الرجولة ، هيه • • لكنه زمن مائع ، لا يعرف فيه الرجل من الأنثى ، فالقلوب معدول، والظاهر باطن ، ولاحول ولا قوة الا بالله العلى • •

# بعض الوقائع

• • كل ماقاله دحروج ، كتبه عبد المقصود آفندى ، لديه خبرة عمر فى كتابة المرائض والشكاوى ، يعرف المدخل المناسب لكل شخصية وذى منصب مايجب قوله ، ومالايقال ، ذكر ماقيل فى حتى امسراته ومايسىء الى فوقية ابنته التى دخلت سن الزواج ، ماسيلفت نظس

المسئولين بوزارة الداخلية بالذات هذا المطلب العجيب الذى وجهه المدعو دحروج الى الاهالى ، ضرورة تمديل أوقات نومهم ، يحيث يأوى الجميع الى اسرتهم فى تمام الرابعة والنصف بعد الظهر كل يوم ، مع مراعاة ظروف الذين يعملون فى نفس الفترة ، ثم يوقظهم دحروج عن طريق مكبر الصوت ليتحدث أليهم ، وينظم آمسورهم ، لم يكتف بهذا بل منح الأهسالى مهلة قندرها ثلاثة أيام يتحولون فيها من نظام الى نظام ، ينيرون عاداتهم ، يعد المقمود آفندى سطر خطأ ثقيالا بالمداد الأحمر ، تحت حديث لدحروج ، قال فيه : «مناذ الآن حارة الملبلاوى لها ناموس غير النواميس» .

الآن يضيق عبد المقصود آفندى ، اضطر الى ذكر أقوال دحروج حول امرأته وجيدة ، سيفضح نفسه ، لكن من الضرورى جدا اثباتها ، اذ آنها التهمة الوحيدة الواضحة التى يمكن آن يماقب عليها طبقا للقانون ، يتململ عبد المقصود آفندى اذ يتخيل تهامس النساء فوق السلالم حول زوجته «المرأة جنت على كبر» تؤكد أخرى أنها تعرف ماقاله دحروج من قبل ، وسكتت طويلا حتى لاتنهش عرض جارة قديمة ، مايطمئن قليلا أن دحروج حذر كل انسان ، رجلا أو امرأة ، من تناول مضمون

حديثه بالزيادة أو التشويش ، لكن هل يكفى هذا لربط الألسنة ، قام ، تحسس الأرض يحثا عن شبشبه ، قضى اليوم كله فى البيت ينسخ المريضة ويرقب تصرفات وجيدة -

### تظراتك غريبة ياس عبد المقصود -

استماذ بالله ، يعاول آلا يملو صوته ، كل حركاته ونظراته تفسر الآن ، كل ماتقوله هي يتحلل في ذهنه الى حيرة ، الى استفسارات ، استجابتها آسرع مما يجب لمطلبه بمنعها من الطلوع الى عشة الفراخ قوق السطح ، مجرة الأسطى عبده بمواجهتها ، سائق النقل العام عمله ، ينام اليوم كله ، ينزل في المغيب ليتسلم نوبة عمله ، ينظر الى امرآته ، ينهض صدرها ، لم تغب ملاحظته عن عين دحروج ، بل سخر قائلا : دهل يوجهه الأسطى عبده كما يمسك مقود المدرية» مايضايقه اضطراره الى ذكر هذا كله في العريضة - ربما سخر منه المسؤولون ، لكنه آحكم الصياغة ، عدد من الجيران علموا بنيته في ارسالها ، آبدوا بشرا وعلقوا آمالا ، يعرفون شهرته " بل ان أحدهم قال بالنص : دهذه العريضة ستدبح دحروج ذبحا» لكن عبد المقصود الآن يتنفس ببطء ، لم يتشاجر مع امرآته يوما ، حتى بعد انقطاعهما ببطء ، لم يتشاجر مع امرآته يوما ، حتى بعد انقطاعهما

عن بعض فى السرير ، يذكر الآن حديثا لمسن أقندى متولى عن شهوة بعض النساء اذ يبلغن الخامسة والأربعين، يطشن ، القت ساعة الحائط ثلاث دقات مختصرة ، بعد غد يحين انتهاء المهلة المحددة ليبدآ جميع أهال الحارة نومهم فى الرابعة والنصف ، سمع امراته تتثاءب ، نظر الها ، وحنق فى عينيه -

(Y).

باق عشر دقائق ٠

فى الواحدة يعلو مكبر العبوت ، يزن قليلا ، يلقى دحروج تحية المساء ويلعنالدنيا القائمة، ويرثى الزمان القديم ، ويؤكد آنه سينتظر كل شيء ، ثم يتلو ماوصل اليه من آخبار ، يرد عليه البعض ، وتلقى المجارة على نوافنا شقته المقفلة ، مهما حدث لن يفتح الحاج حمزة جزءا من نافنته المطلة على الحارة ، حتى الآن لم يتعرض له دحروج ، مع مروز الأيام ، وقيام الهياج فى الحارة ، أيقن الحاج حمزة آن اعتبارات عديدة تدخل فى امتناع دحروج عنه ، آهمها آنه قضى آكثر من ثلاثين عاما ناظرا لمبرسة كتخدا الابتدائية ، تلاميذه آصبحوا الآن رجالا، يقابلونه فى الطريق ضباطا ومهندسين وكتبة فى المسالح

منتصف ليل الغربة بـــ ١٧

الحكومية ، يصافحونه في المقهى اذ يجلس مرتديا جلبابه الأبيض متآملا لاعبى الطاولة ، أيضا ربما يعلم عنه دحروج موقفه عندما عسرضوا عليه مند عشر سنوات الانتقال الى مدرسة الروم الابتدائية مع ترقيته ناظرا ، لكنه رفض ، آثر البقاء في الحي الذي ارتبط به ، ومرت أربع سنوات كاملة قبل أن يمسبح ناظرا لمدرسته ، يعسرف أن دحسوج لم ينجب ويرثى له ، بالتأكيد يعاني ضيقا وآلاما ، لو أنجب طفع وألحقه بالمدرسة الأولاء عناية خاصة ، الآن اليفسيق بازعاج دحروج ، ليفعل مايشاء ، ليسب أهالي الحارة ، ليعيد الآمور فيها كيفما يشاء ، فعلا كثير من الأوضاع يجب تقويمها ، ليحدد للسكان نوعيات الطعام التي يجب أن يأكلوها يوميا ، المهم ٠٠ آلا يذكر شيئًا عن بناته ، دحروج عالم بكل شيء ، مطلع قطما على أفكاره الودية، انه أول من ينفذ تعليماته ، عندما طلب أن ينام الجميع في الرابعة والنصف ، اسرع الحاج حمزة بتطبيق هذا على بيته قبل انتهاء المهلة بيوم ، بناته أبدين ضيقا وامتماضًا ، أجبرهن على طاعته • لابد أن يتآكد لدى دحروج أن الحاج رجل طيب ، مرب فاضل كما تتحدث عنه كلمات الطلبة في المدرسة ، كما وصفه المدير في العدد السنوى من مجلة المنطقة التعليمية - في كل ليلة يصغى اليه ، اذ يسكت دحسروج لحظات يمسك أنفاسه ، خشية أن توجه الفقرة التالية ضده ، تتعاقب عليه الانفعالات • مايرعيه أن يتحدث دحروج عن البنات ، بالأمس آبدت سعاد ابنته ضيقا ، تعودت عمرها كله استذكار دروسها من الخامسة حتى الحادية عشرة ثم تنام ، كيف تغبر نظامها وامتحان التوجيهية مقترب ، أحاطها بدراعيه ، دفعها آمامه ، كاد يكم فاها ، قال : لاتزعقى ، عمك دحروج لم يتعرض لنا ، عمك حر • صباح اليوم جاء بيومى السائق بمصلحة السكة الحديدية ، قدم اليه عريضة قال ان نصف سكان الحارة وقع عليها ، والباقي سيوقع ، سوف تحدث العريضة صدى كبيرا لدى المسئولين ، خاصة بعد طلبات دحروج الفسريبة من الأهسالي ، واصراره على نومهم مبكرين ، وتوحيد طعامهم اليومي ، على أن يتولى الطهي بيتان أو ثلاثة يوميا لكل الأسر، مقابل مبلغ يتفاوت طبقا لقدرة هذا وذاك يدفع أول كل شهر الى حسن أفندى متسولى شخصيا ، قال بيومي ان المسئولين سوف يتدخلون فقط قرشان والتوقيع ، الحاج حمزة لم يدع بيومى يكمل ، تفجر هدوم عمره كله ٠

« أسمع \* \* »

أسرع يطل من النافذة ، زعق مخاطبا أهالي الحارة بيومي وغيره ٠ مع أن بيومي يقف في الصالة ، انه لن يوقع على أى عريضة ضد جاره القديم دحروج النمرسي ، (وهنا علا صوته تماما ، وهذا مالم يعهده أهالي الحارة) • انه غير منزعج آبدا ، ومايفعله دحروج من حقه تماما ، سكت لحظة ثم زعق انه لايمت بصلة الى حارة الطبلاوي ، ولايعتبر من سكانها لأن مدخل بيته وشرفته الرئيسية تطل على شارع قصر الشوق ، أما النافذة التي تصله بالمارة فسيرسل في طلب نجار ليسدها في الحال ، برغم هذا سيصفى الى دحسروج ، وينفذ كل ماياس به ، خاصة وأن صعته وصعة الأولاد تقدمت بعد نومهم مبكرين ، انه ينصح جبرانه نصيحة لوجه الله : الحدار ، الحدار من أي عمل خفي ضيد دحروج ، لأن الرجل مكشوف عنه الحجاب ، والا ٠٠ كيف تأتى له معرفة نص عريضة عبد المقصود افندى كاملا ؟

(٣)

فترة تلى آذان الفجر ، يتحلل على مهل سواد الليل، تولد ملامح البيوت ، تتخلق الوانها من جديد ، ومن نبع خفى يطل بخار أبيض منظور عالق بالفراغ ، بلاط الحارة يلمع تحت ضوء الفانوس النازى الوحيد الذى يبدو يتيما شاحبا ، فى مواجهة ضوء نهارى وليد ، ومن نافذة متسعة ، فى الطابق الأول ، بالمنزل الرابع ، تطل الست روحية مع آولادها السبعة ، صامتون يصغون الى مايقوله دحروج ، آيضا عائلة آم حسنى حتى الجدة المعوز ، منا فترة وجيزة سكت ، بدت نافذة بيته المعوز ، ننية اللون ، لم يرها آحد تفتح آبدا ، يعرفون أنه لن يكف تماما الا فى تمام السابعة ، لهذا ينتظرون الآن استثناف المديث فى أى لحظة ، فجأة انبثق صراخ رفيع ، حاد مسنون ، عويل متأن يبدله الجسم والنفس مما ، ممدود مقبض ، فيه خلاصة المجز الانسانى فى مواجهة آمر قاهر ، بدآ فرديا ثم أصبح جماعيا غليظا عبوسا ، نظر الساهرون من السكان الى منزل صالح قندي ، فتحت نوافذه بصعوبة ، خرجت كلمة من بين العويل . •

## ياخويا ٠٠

استماد آهالی حارة الطبلاوی بالله ، کلهم بدون استثناء ، بدا خوف غامض علی وجوه السیدات ، ینظرن الی نافذة دحروج المغلقة ، وكانها باب للفرج آوصد ، أول أمس صاحت امرأة صالح آفندی فی تمام الثانیة صباحا مخاطبة دحروج ، تحدثه • اذا أحاط بكل مايجرى بالحارة ، طالما أنه آوتى مصرفة ماسيحدث ، وبعض الأهالى يقولون برفع الحجاب عنه ، فليقل لها اذن : هل سيشفى اينها تيسير ؟ وحيدها المريض منسن عام ، الذى حارت به ، ولفت على جميع المستشفيات ويذكر آهالى الحارة الآن صمت دحسروج ، ثم قوله المقتضب : دياآم تيسير ، لو طلعت شمس يوم الثلاثاء على ابنك ، ووجدته حيا سيميش مائة سنة » ثم استأنف كلامه المادى • الآن ، يبدو الشلاثاء جهما لايطاق ، وتذوب الأخشاء في العويل القاسى ، والشمس على وشك الشروق •

( 1)

حتى مغيب اليوم التالى على ما أذاعه دحروج م لم تدر حسنية ماذا تغمل هل تذهب مع أولادها الأربعة الى ورشة الحاج بندق صانع التماثيل الخشبية ، تولول ، تجمع عليه الخلق ، تحكى كيف تزوج فتاة صعيرة ، ويبالغ في تدليلها ، ولايعطى بيته مصروفا كافيا م لم تقصر في حقه ، بداية حياتهما هنية طرية ، في سنين زواجهما الأولى م رأت امرأة شعثاء جاحظة ، تدفع سربا من الأطفال ، وتحمل رضيما ، تقف أمام دكان

موبيلياتي ، تطالبه بالمعروف ، تركها منذ اسابيع ، تذكر الدم المتدفق الى وجه المرآة ، عروق رقبتها النافرة الزرقاء \* يومها قالت «بندق لن يفعل هذا بي آبدا» ، قبل عودته تطمئن الى نظافة البيت ، تمشط شعرها ، تتهيأ لاستقباله ، تروى بدنها بالأطايب ، حتى تبدو ريانة يستريح اليها من عناء يوم طويل ، الآن لاتجرؤ على الذهاب الى الورشة ، ربما يبهدلها ، ستجرى في آروقة المحاكم ، تتوه في طرقاتها • في نظرات الكتبة الشبان والعجائز ، تبلي في الانتظار ، لاتقدر على المودة الى البلدة ، شقيقها لن يحتملها مع اولادها ، لن تطيق نظرات الحريم ، يقلن فيما بينهن «لم تنفع في مصر» لاتدرى ماتفعله الآن ، هل ترمى نفسها من الطابق الرابع ؟ تتخلص من ضيقها ، تنهى أوجاعها ومصائبها ، اذا لم تمت ربما قضت بقية عمرها عاجزة لاتصلح لعجين أو خبيل أو غسيل ، من يدرى ربما يرق قلبه اذ يراها مصابة ، يعن ويرجع الى أولاده -جاراتها نصحنها بالمضي الي محروج ، تقف تحت نافذته، ترفع صوتها راجية أن يدلها أي السكك تسلك ؟٠

(0)

٠٠ أمام جامع سيدى مرزوق ، يقف حسن أفندى

متولى ، يقرأ الفاتعة ، فيما بعد لم يدر الحاج بيومي هل تم اللقاء مصادفة أم تعمد مقابلته ؟ عيناه حمراون ، لم ينم ليل الحسارة ، لم يتعود على النوم في تمام الرابعة والنصف لايمكنه الآن الا الاضطجاع أثنام حديث دحروج ، قال حسن أفندى انه لافائدة من أى عمل تم حتى الآن ضــــ دحـروج ، حتى عــريضة عبد المقصود آفندى المشهور يصياغة العرائض وحبكها لم تأت بنتيجة ، بل أن أحد صدورها المرسلة الى جهة رسمية أعيدت اليه لأن البريد لم يستدل على عنوان احدى الوزارات ، ثم ماهي حال عبد المقصدود الآن ؟ بيته خرب بعد عمار ، هجرته الست وجيدة بعد أن أغرقها بالشك ، قال حسن أفندى ان مايقوم به دحروج لايوافق عليه ، وهو لم يقصر في سبيل ايقافه عند حده ، وأهالي الطبلاوي يعرفون كلهم ، الكبير منهم والصغير آنه آول من ذهب الى القسم على رأس وقد من الحارة ، وقدم بلاغا وقع عليه ، وأملى بصوت عال رقم بطاقته العائلية ، وحتى الآن لم يحدث أى استدعاء لدحروج فلم يره أحد يخرج من بيته ، لم يظهر لدرجة أن بعض الشبان المتهورين الذين لايدرون آخر العواقب، قالوا فيما بينهم لاوجود لرجل اسمه دحروج ، والا فأين هو ؟ أما الصوت الذي يخاطب الأهالي ، فربما كان بعض الأشقياء يريدون فرض أمور خطرة على الحارة ، وما الصوت الا تسجيل يضمونه بين الحين والحين • وربما تتعرض الحارة لظاهرة خفية ، والمور غير مرئية، وعندما ذهب آحدهم الى بيت دحروج ، تناقش مع مسمد آفندی ، اکد له وجود دحروج وامرأته غویشة • وهذا أمر لاينكره الا أجنبي عن الحارة أو مجنون ، لأنه يميش بينهم طوال عمره ، صحيح لم يسمع له حس ، ولكنه لم يحتجب الا بعد بدئه الحديث مع الأهالي ، وقال مسعد أفندى انه آدرى بوجوده لأنه يسكن تحتب ، ويسمع صوت تحركه بالليل وبالنهار ، وهنا ارتفع صوت حسن أفندى ، هل تعلم ماذا جرى يوم آمس لشكرى ، آحد الشبان ، قال بيرمى انه لايمرف بسبب تغيبه في السفر ، قال حسن أفندى : في المساء قال دحروج كل ما ثناقشوا فیه ، وحدر شکری مثیر الشکوك ، ثم آندره بعدم الذهاب الى امتحان الكلية ، ولو خالف فسيذيع الأدلة الدامغة بانتمائه الى احدى التنظيمات السرية التي تعمل ضد الحكومة • قال حسن افندى أيضا ، انه رجل هادىء بطبعه لايحب الازعاج ولايطيقه، قال حسن أفندى انه يؤمن بعدم فائدة النطح في الحجر ، وان النقش على الماء عبث ، والنفخ في قربة مقطوعة مضيعة للوقت ، لهذا كله ، والأسباب عديدة ، بعضها خفي ،

ويعضها معلن ، يرجو من الحاج بيومي سخب توقيعه ٠ قاطعه الماج قائلا انه ارسل العريضة فعلا ، صحيح أن السكان لم يوقعوا فعلا كلهم ، لكنه ارسلها حتى يحرك المسئولين ، استفسر حسن أفندى عن الجهات التي أرسلت اليها العريضة • وكتبها في ورقة ، ابدى غما • قال انه سرسل الى كل منها تلفرافا يعلن تراجعه ، قال ان الناس يحبون لبعضهم الأذى • ولايصح للحاج ولا لغيره ارسال المسريضة بدون أخسد أراء من وقعوا عليها ، احتد الحاج بيومي قائلا : مجرد التوقيع يعني الموافقة على ارسالها ، زعق حسن أفندى ، أبدا ، أبدا ، لايوجد ولن يخلق من يعلمه الأصول، هو موظف الحكومة الذى قضى عمره بادارة مكافحة الدودة ، قسم الفقس ، علا صوت الحاج بيومي موضحاً ، انه هو أيضما موظف حكومي ، اليس السائق بالسكة الحديدية موظفا رسميا يقبض مرتبا شهريا ، ويتقاضى علاوات آكثر من التي يتقاضاها موظف في الدرجـة السـابعة ، مط حسن أفندى شفتيه احتقارا • توقف بعض المارة ، تجمعوا حولهما •

مشاهدات الرقيب صالح عبده ، بالأمن الخاص في حارة الطبلاوي عندما جاء يستطلع الأحوال :

«یاحاج بیومی ۰۰ یاحاج بیومی ۰۰»

كان البعض يجيب بتصفيق مماثل ، الضوء عالى، والنهار شاحب مرتحل • هدوء ثقيل مراق بسخاء ، منذ دخوله الحارة لم ير طفلا ، أو امرأة ، عادة يتصايح الصبية حوله ، يمشون خلفه يتوقعون منه حركة عنيفة مفاجئة ، فيحتفظون بمسافة معينة ، ربما اتقن الأهالى هنا تربية أولادهم ، حرموا عليهم اللعب في الحارة ، توقف في الطابق الأول أمام باب جهم المنظر ، خبط مرات ، لم يجب أحد ، دق الباب بعنف ، حركة صغيرة مترددة ، صوت شبشب ، عاد يطرق الباب ، يأتي همس ، اثنان يتبادلان الحديث ، لم يدر أهما رجلان أم امرأتان أم رجل وامرأة ؟ صفق مسرتين ، علا صوت :

- ماهذا الازعاج ؟ آلا نستطيع النوم في راحة ؟
  الحاج بيومي موجود ؟
- \_ فوق ٠٠ فوق ياعالم ٠ ارحمونا ، ودعونا
  - ئنام -

طلع الحاج ملتفا في عباءة قديمة من وبر الجمل ورثها عن والده ، عيناه ضيقتان ، فيمها آثار نوم ، الشرطى صالح لاتزعجه مثل هذه المقابلات ، أمثال الحاج يتباهون قائلين : طول عمرنا لم نمض الى قسم بوليس ، ولم نقف أمام نيابة •

«آنت قدمت»

لم يكمل الشرطى صالح حديثه ، قاطمه الحاج ، صوته رفيع حاد كصفير قاطرة متحشرج \*

ــ أنا لم أقدم ولم أشك من • •

ــ ولكن ٠٠٠

ـ تنازلت باأخسى • تنازلت عن الشكوى والعريضة ، المسارين تتمسارع في البطن ، مابالك ونعن جران ؟

ينظر الشرطى صالح دهشا ، قال الحاج انه تنازل عن كل شيء ، وأنه على استعداد للذهاب الى السجن بسبب ازعاج السلطات ، لكن آن يسأل سؤالا واحدا حول جاره العزيز : لا • ثم يجب على الشرطة اختيار الوقت المناسب للحضور الى الناس ، اما الدلاقهم في أحلى ساعات النوم • • • •

نزل الشرطى صالح الى الحارة • نوافذ البيوت

مغلقة ، تلفت حوله حائرا • دخل بيت دحروج ، في منتصف الليل قبل بدء الحديث اليومي ، قيل ان دحروج خرج وتحدث للشرطى فعلا ، وان ضعكاته سمعت واضعة لمن لم يدركه النوم في المواعيد المحددة ، أيضا استفسر دحروج عن بعض الأشياء ، آبدى اهتمامه ثباه أسماء معينة ، أبدى الشرطى دهشة ، قال دحروج انه يمرف هــؤلاء كلهم ، وكبيرهم رهن اشـارته ، ثم أوصاه باتمام اجراءاته على أتم وجه ، في هذه اللحظة دخل الحارة المعلم يونس الفرآن • رآه الشرطى صالح يرفع يده بالتمسية أذ يمن تحت بيت دحروج ، النواقة مغلقة لكنهم يثقون آنه يراهم ، يعرف من آلقى السلام ومن لم يلقه ، يمرف من جرؤ على تناول الطعام بمفرده خارج الحارة • أو في بيته ، الحاج حمزة يفتنح النافذة يوميا قبل نومه ، ويزعق بالسلام حتى بعب تعرض دحروج بالكلام لابنته الصغرى ، وذكر بعض تفاصيل علاقاتها بمدرس الكيمياء ٠ أم تيسير منذ رحيل ابنها، بمجرد أن يبدأ دحروج حديثه تنزل مهرولة بقميص النوم ، ترفع ذراعها زاعقة تحت النافذة : «الله أكبر ٠٠ الله أكبر» عليه وعلى شبابه ، دجروج بركة ، أى مخلوق يجرؤ على شكواه ستناله مصائب ومحن ، وتغرقه رزايا - حتى الماج أخسد تاجس الورق ، المريض

باعصابه ، قال لكل من زاره آخيرا : ان صوت دحروج الليلي لايزعجه بل ينبئه إن شفاءه سيتم قريبا ، وأنه قبل ماكلفه به دحروج من قيامه بدور الوسيط بين المتخاصمين في الحارة • بعد فترة آيقن رأفة دحروج به ومراعاته لظروف مرضه ، لم يعد يتخاصم أحد ، ومن لديه وجيعة يعضى بها طارحا اياها آمام دحروج ، أسند اليه آخف المهام ، وفي الواحدة صباحا يقف بالشرفة ، ويضحك ، ويهز رأسه موافقا ، يصبح بالشرفة ، ويضحك ، ويهز رأسه موافقا ، يصبح صالح عبده لم ير أحد ، لاينوى توجيه أى سؤال ، رأى طفلا صغيرا يتجه الى مدخل الحارة • لمت عيناه لحظة واتجه الى المطفل • انحنى حتى قارب رأسه • •

- \_ اسمك ياشاطر ؟
  - یہ سعد 🕶
- ــ انت من هنا ؟ من حارة الطبلاوي ؟ 🕙
- أوما الطفل ، بدا قلقا ، الأطفال لايكذبون ، كواجب أخير سيحاول أن يعرف منه •
  - ـ يمنى ألم تسمع ميكروفونات أبدا بعد ٠٠
    - هز الطفل رأسه ابتسامة مرتمشة قلقة
      - ـ خيالات ياشاويش ٠٠ آبدا ٠٠ آيدا ٠٠

ــ هل تنام يابني ٠٠

رفع الصغير عينين شاحبتين ، بدآ متعجبا : أى سؤال هذا ؟ ما الذي يقوله هذا الشاويش ؟ انفلت يجرى مسرعا •

#### \*\*\*

« تأشيرة على المنتكرة الايضاحية رقم ٢٠١ م ، وعلى تقرير الشرطى صالح عبده ، وعلى عرائض مقدمة من بعض أهالى حارة الطبلاوى ، وشكاوى من مجهولين ، ونصوص مكالمات تليفونية ، لمواطنين رفضوا ذكر أسمائهم» \*

« يحفظ ٠٠٠ »

منتصف ليل الغربة

# اشارة تليفونية

من مديرية الصناعة الى مديرية الصحة بناء على اشارتكم لنا بتاريخ اليوم ، بخصوص سرير خال بالاستراحة طرفكم ~

نرجو حجن مكان باسم السيد/يوسف عبد الرحمن الموظف المستجد طرفنا •

مبلغ الاشار: امضساء

منتصف ليل الغربة - ٣٣

تتراجع البيوت على مهل : الدكاكين الصفيرة ، والاعلانات ، والواح الزجاج ، يصيح رجل مناديا على تاكسى بالنفر ، تنساب أغنية من بيت قريب ، يديعونها دائما في هذا الوقت ، وحدة الظهرة ، تزيد من الحركة، يعود الناس من أعمالهم في مدينته البعيدة الآن ، كان اذ يرى أباه يصيح : هيه ٠٠ بابا جه ٠٠ بابا جـه ٠ لاتذكره الأغنية بآيام راحت • بل تثير في نفسه تراب الحزن الدفين ، أيام حلوة مزهرة مشرقة " جرى فوق رمال الشاطيء ، احتوى البحر بعينيه ، وسامية بين ذراعيه ، اطعمته بيدها لحم السمك المشوى الأبيض ، مسحت عن شفتيه قطرات ماء البحر مالحة الطعم ، الآن يعض شفته ، وقع عجلات حنطور رتيب ، الهواء حوله بارد ، قالوا له ان برد المدينة شديد ، خاصة اذا مانزل الليل ، قالت أمه : اذا شعرت ببرد ضع جريدة قديمة فوق صدرك ، ربما تقف الآن في الشرفة ، ثمرف أن يوسف لن يظهر عند منحنى الشارع ، أبوه لم يصل ، ربما جاءت أخته الآن ، كان يروح ويجيء بين الغرف ، يقرص أخته ، يسالها : هـل تعرض لها أحـد ؟ يأكل بسرعة ، يمد يده ، يداعب ذقن آمه ، تحكى له عما رأته عندما نزلت تشتری السمك ، دارت ٠٠٠ بحثت حتى وجدت السمك الذي يعبه ، الأسواق مافيها الا الشبار الصغير ، عند رجوعها قابلت السيدة آمينة ، كلمتها عن محمد الذي جاء وقرآ فاتحة ابنتها ، سعاد لم تتملم ، ولها ثلاث آخوات كلهن بنات - اصولها ترضى بأول ابن حلال يجيء للبنت ، يصغى يوسف • فجأة ، يسأل أمه : ألم تحضر بنت حلوة كالقمر ، وتسأل عنه؟ فترفع آمه يديها وتطلب من الله تعالى أن يعجل بهذا اليوم الذي ترى فيه عروس ابنها ، تجاوزت المسربة آخر بيوت البلدة الخيلاء يتسع ، النخيل يتشابك ، المنطور يمضى متمهلا •

### \*\*\*

## الأربعاء ٢٢ ديسمين

هل خاف الأطباء على أنفسهم من العدوى فأثروا العزلة ، لكى أقطع المسافة حتى المدينة لابد أن أمشى نصف ساعة فى طريق مترب ، خال تماما من البيوت والعشش ، تماما ما توقعته لحظة رؤيتى المبنى ، النوافل مستطيلة وكبيرة جدا ، مخلقة ، وكأنها لاتفتح أبدا ، أما الشرفة فقد أحاطت الطابق الثانى كله ، محمولة على قوائم خشبية ترتكز على الأرض - لحظتها تذكرت بيوت مدينتى البعيدة - ذات الواجهات الخشبية ، أه من بيوت مدينتى المنشور فى الهدواء وملح البحر - لو

أغمض عينى ، واقتحهما ، وأجد الطرق والمتاجر النظيفة والنساء الجميلات ، والبحر - لم يمر يوم الا ورأيته ، في الليل آرهبه ، أخاف لو مشيت فأجد نفسى فوق مياهه - أمشى بعيدا عن السور ، ربما امتدت يد غليظة الأصابع ، وشدتنى الى أعماقه ، ابتعد عن وشيش الأمواج ، العمق المحسوس غير المرثى ، بدا المبنى خربا عند عبورى حديقة الاستراحة الجرباء - يقتت أن هناك من يرقبنى ، اقشعر ظهرى ، طلعت تيقنت أن هناك من يرقبنى ، اقشعر ظهرى ، طلعت السلم الذى يدور حول المبنى ، الدرجات المشبية مغطاة بأوراق شجر جافة ، الصمت كالجبل كأن العالم خرب ، مدينتى البكر واسعة العينين لم توجد آبدا ، مع آننى فارقتها منذ ساحات -

فجأة ظهر عبد المقصود ، كنت متعبا ، عيناى تكادان أن تنغلقا حرزنا وتعبا ، انه طويل الجسم والعنق ، جامد الوجه ، ينظر دائما في خط مستقيم ، لم يرحب عبد المقصود بي ، نفس الجمود الذي قابلني به الموظفون ، لم السمع من يقول : حسد الله على السلامة ، أنا ايضا بادلتهم نظرات الكره ، خاصة الشاب المتأنق ، والعجوز صاحب الصوت الملىء بالرغاوى ، تبعت عم عبد المقصود وصداع اليم في

قلبى ، لم أصدق آننى بعيد عن ساميه ، عن البحر ، وقد أسندت الحقيبة آمامى \* وأطرقت مدة برآسى ، مغمض عينى \*

ديوسف،

#### \*\*\*

من ۲۰ ــ ۸ ــ ۱۸ حتى ۲۱ ــ ۸ ــ ۱۸

٣ ــ يوسف عبد الرحمن من ١١ ــ ١٢ ــ ١٨ حتى \*\*\*\*\*

### \*\*\*

ـ يعنى مفيش حـ فى الاسـ تراحة غـــــــرى ياعم عبد المقصود • •

ــ أيوه ٠٠

ـــ لو نزلت البلد دلوقتی ورجمت متآخر مین یفتح لی ؟

\_ آنا دایما تلاقینی تحت · ماینزلش البله غیر قلیل خالص · ــ لكن السكة وحشة خالص ياعم عبد المقصود • •

ــ شوف یایوسف آفندی • الحتــه دی طــول عمر خلا ماحــد هوب ناحیتها • والطــزیق خطر ، وآولاد الحرام کتبر •

ــ يعنى الرجوع بالليل مش مأمون -

ـ ده اذا جالك قلب وقدرت يايوسف أفندى -

### \*\*\*

## الأربعاء ٢٢ ديسمبر:

لا آعرف ما الذي يجرى لى لو لم آحضر كراستى والقلم • فى مدينتى انقطع عن الكتابة بالشهر واليوم ألجأ اليها مرتين • فى المصر كسرت عادتى ولم أنسم ، البرد يشبت ، لاأستطيع القسراءة الا تحت البطانية ، ثم • \* لو نزلت البلدة ، مسع من أقضى ليلتى ؟ المقاهى قليلة وصيفيرة • فى بلدتى لو جلست على مقهى ، فى حى غير شارعى \* لنظروا الى بريبة فكيف هنا والناس يعرفون بعضهم ، قال آبى ان آهالى البلدة كالمريم ينتهون من عمالهم ، ويدخلون بيوتهم ، فلا يخرجون منها الا فى صباح اليوم التالى \* قال آبى الله يبعدنى عن أولاد المرام ، قلت وعيناى تدمعان الله يبعدنى عن أولاد المرام ، قلت وعيناى تدمعان

والجرس يرن رنسه الأولى: سأقضى وقتى وأذاكر انجليزي ، وأقرا الكتب ، ونصحني بأنني لو استطعت أن أجد شابا في مثل سنى ، غريبا ، ونستأجر غرفة أو شقة • وكنت أعلم لماذا يقول أبي هذا ، حتى لايضحك على أحد ويوقعني في بنت قد تبعدني عنه ، وتقطع ماقيد أرسيله إلى العائلة ، وعلى العموم نسياء البلدة كلهن لسن جميالات كفتيات مدينتي ، آه من الزحام والشيمس الحلوة صباح الجمعة عنسد معطة الترام الرئيسية والهواء يهب مشبها بزرقة البحر ، عند المحطة رآيت سامية لأول مرة ، بلوزة بيضاء ، جونلة برتقالية ، جورب أسود ، حداء أبيض كبير ، عيناها في لون ، أي لون ٠٠ عسل النحل ، رأيتها كمطر خفيف ينزل على مهل في يوم حار ، آوراق زهر صغيرة تكسو الرصيف في آيام مارس الأخيرة • نجم شاحب بعيد قصى له عينان واسمتان ، وأنف دقيق ، وشفتان كالفراولة ، قلت لن آجد مثلها • لو اني خلقت بنتا لتمنيت أن أكون مثلها • لفترة حاولت أن أقيم علاقات مع فتيات يسكن في شارعنا ، لكنني ترددت ، وارتعشت قبل حديثي اليهن ، ونصحني زملائي بالجرآة ، وهاهي ٠ لو ضاعت ، هذا الشيء الخفي الذي لا أراه ولا أدركه ، لقضيت عمرى بعيدا عن جنس النساء ، حاذيتها وقلت

لهــا ان قلبي قد ارتجف عنـــسا رآها ، وانني أشــعر بصداقتها لى من زمن • توقفت ، نظرت الى وابتسامة على وجهها حيرتني . قالت أه ومساذا بعسد ، اصرار عجيب انتابني • سالتها عن اسمها ، في أي سنة هي قالت أولى ثانوى - ثم قالت اننى ظريف ، وطيب -وفجأة كفت وطالبتي بالابتعاد ، قلت لها اسمى يوسف ، وانتى حاصل على دبلوم تجارة متوسط وساعمل قريبًا ، واننى أنوى دخول امتحان الشانوية العامة فلابد من الالتحاق بالجامعة ، وقلت يمكننا مذاكرة الانجليزي سويا ، ضعكت وكررت انني طيب جدا ، وسألتها أهذا مدح أم ذم ، فطلبت منى برقة ألا اثقدم معها أكثر من ذلك ، بيت خالتها يقترب ، قلت أنني. انتظرها وأرجع معها حتى لو قضيت الليــل هنـــاك ، ابتسمت وقالت لاداعي • تابعتها حتى اختفت ، وكررت في ذهني عنوان المدرسة ، فجأة صحت بأعلى صوتم, انطلقت أجرى ، أجرع هـواء البـحر ، ألتهم الطريق اللين • وددت لو أوقف كل من يقابلني الأقول له مأجرى ، ضمحكت وداعبت أمى كشيرا حشى ظنت أنى شارب حاجه ، وقلت لها انك أعظم أم في العالم • عندما قابلتها ليلة سفرى ، دممت عينيها ، قلت لها ريما غيت عنك شهورا ، قالت آسافر معك ضغطت

يدها ، الكازينو خال الا منا المصابيح الملونة تضيء في انكســـار ، وبقــايا الأمطـار في منخفض من أرض الحديقة وغناء من بعيد ، قبلتها ، تخللت أصابعي شمرها الناعم كالليل • أقسمت لي بتربة أمها أنها سترسل کل ثلاثة آیام خطاب، سیتقول کل شیء جری لها ، وللمدينة ، وفي المدرسة ، اذا نزل المطر ، أذا هاج البحر ، لو دخلت السينما مع آبيها وزوجته ، فستحكى لى بالضبط مارآته من افلام ، وعندما خرجنا كان للهواء طعم القرنفل ، المسابيح عالية • ضـورُها مخنوق كصوتها لحظة الوداع ، لو أنها معي لانقلب كل شيء \* عدت أصغى الى أزيز الصمت \* تطلعت الى السقف المرتفع جدا • عندما سآلت عبد المقصود عن هذه المدفأة الرخامية • قال ان الانجلين كانوا يتدفأون بنارها • سألته هل حضر آيام الانجليز هنا ، قال انهم هم الذين بنوا الاستراحة لمهندس الرى ، وكنت واحدا من الذين وضعوا حجارة المبنى وأخشابه فوق أكتافهم، ثم عينت فيه ٠ صمت فجأة ، وبدا غير راغب في الكلام • آسند الدورق وخرج • الأعرف مايفعله في هذه اللحظة ، كأنه لم ينم ، انسا يطل على من ثقب الباب ، ارتعش دمي ، نفضت مايتدافع الى ذهنى ،

تأملت الكتب محاولا اختيار رواية آقتل بها مابقى من وقت ٠٠

«یوسف»

## \*\*\*

تمسك يده بحافة النافذة ، يمرق شريط الضوء اللامع يكشف العربات التي بدت مستطيلا واحدا ، مرور العجل فوق فواصل القضيان ، قطار الشانية عشرة قادم من الشلال الى القاهرة ، مفتخر لايقف أبدا، يوسف يتابع الرجال النائمين على المقساعد الزرقاء في العربات ، آخرون يشربون الشاى ، ياكلون الجاثوه في عربة الأكل ، يبدو عليهم ملل ، الرحلة طويلة ، لو يركبه يوسف ، بعد ساعات يقف في القاهرة ، ثم قطار الوقت الذي سيمضى عليه هنا ، حتى يحصل على اجازة ويسافر \* يسميل الضوء ناعما في الخارج \* اضمواء المدينة البعيدة خافتة تزيدها بمدا • فجاة ينتبه الى وجود رجال فوق القنطرة الحجرية ، هـل عبد المقصود بينهم ؟ لايرى المسلامح ، أياديهم طويلة تلمس ماء الترعة ، لا يجرؤ على اغساض عينيه ، لو ياتي باقل حركة ربما تنبهوا اليه ، تنبعث من بعيد أصوات مجهولة لم يعيز منها الا مايشبه اطلاق النار مهل له صلة بعمل الرجال و لايعرف من آى جهة يجيئون؟ يظهرون فجاة ، ربما يخرجون من الاستراحة ، فجاة ويضيع كل مايراه ، يتبخر الضوء الناعم ، تضيع معالم المجسرة ، تحته فراغ وفوقه ، هال أصيب بالمعمى يظام عليهم النهار و هنالك ، لن يعيش اللحظة التي يطلع عليهم النهار و هنالك ، لن يعيش اللحظة التي يطلع عليهم النهار و هنالك ، لن يعيش اللحظة التي مشاولا ناحية السرير ، تتقلص أصابعه ممسكة بالبطانية ، ينتزعها بعنف ، ويلفها حول جسمه ، بالبطانية ، ينتزعها بعنف ، ويلفها حول جسمه ، يصطدم أصبع قدمه بالمقعد المدبب المواف ، لو قطعوا لسانه اللحظة لما شعر بالآلم ، يسند ظهره الى الباب وحيد تماما و نواة ملقاة في فراغ حتى من النجوم ، والأرض ، وذرات الرمسل ، وسامية ، وحراشيف النخيل و

### \*\*\*

ــ صباح النور • لا والله ماسمعتش • أصل النور بيطفى بعد الساعة اتناشر • وابور البلد بيقف •



# الخميس ٢٣ ــ ١٢ :

. طلبتي المدير ، سألتي عن مجموعي في الدبلوم ، طلب منى أن أنسخها ، شعره يلمعو أسنانه بيضاء يتكلم برقة ، يتناول بين لخلسة وآخسرى قلمه الحبر الطويل المغموس في معبرة نحاسية ، ليؤشر به كلمة واحمدة فقط ، كدت اقول له ان الاستراحة مزعجة ، واننى لن أرجع الليلة اليها ، غير أنى ترددت ، ماهى مبرراتى ؟ خرجت من عنده ، وفوجئت بزملائي. ينتظرون خروجي، سألوني عمنا قاله سيادته ؟ قلت : لا شيء • سكتوا ، نظروا الى بعداء • جاء رئيسي الشاب ، أعطاني عشر استمارات صرف الراجعها • نظر الى الدوسيهات الكثيرة أمامي • قال لاياس اذا كان العمل كثيرا عليك، لكن هذا لابد منه حتى تتمرن - قلت آبدا - فجاة سألنى عما قال المدير ، قلت : لاشيء ، وفعلا لم أر في كلامه مايستحق أن أكرره ، غير أنه اعتدل واقفا ، نظر الى بعداء لم يخفه • كنت مجهدا ، وعيناى مليئتان بالصابون الحارق ، وعندى ميل الى القيء • تخز قلبي، صورة سامية • بعد فترة جاء ، وأشار الى حقيبتي الصغيرة ، قلت له عما بهما ، كراستي ، ورواية لم

أتمها ، وثلاثة مظاريف خطابات ، ومحفظة نقودى ، لأنى لاأحمل نقودى في جيبي . قال على مسمع من الآخرين، انه لا مجال لقراءة الروايات هنسا ، وان العمل جاد ، وأنه هـ و نفســه لايحب أن يعضر أحــ د موظفيه روايات أثناء تأدية العمل الرسمي عنم الساعة الثانية وقعت أمام اسمى ، وفجأة ، جاء الساعي المجوز ، وطلب أن أكلم المدير ، تلفت حولي غير أني لم أهتم بنظراتهم ، ودخلت الى سيادته ، ابتسم ، والاحظت بدهشة آنه قصبر القامة ، بمكس مايبدو أثنام جلوسه ، قال : لعل العمل لايكون تقيسلا على نفسى • ارتحت • فارقتني الرغبة في النوم • كأنها لحظة رؤيتي سامية قادمة من ناحية البحر ، قلت : آبدا ان العمل لايرهقني ، قلت في نفسى : بعد دقيقة أكلمه عن الاستراحة ، كدت أقول له : أشعر بأنني أتكلم أول مرة مع انسان منذ وصدولي ، قال : هل تعرف أحد الموظفين هنا ؟ قلت : أبدا - سكت لحظة ، وقال : أنا هنا مثلك ، وريما أنت أعزب • أنا عندي أسرة مقيمة هنا • وللأسف هؤلاء الموظفون لايكفون عن الحديث عني • سكت ثم تابع : طبعاً هذا شيء مزعج • ولكن لو عرف ما يقولونه بالضبط سيصبح الأمر غير ذي أهمية ، كل ماعلى أن أسمع مايقولونه فقط ، وأنقله يالحرف الواحد لا أزيد ولا أنقص ، ويهذه المناسبة • هل تكلموا في موضوع يخصني اليوم \* قلت : لا آذكر ، لوح بيده ، وبدا وجهه غير مهتم ، وطلب منى أن أنتبه من الآن ، خرجت والرغبة في النوم تعاودني ، ذهبت الى المحطة • جلست فوق رصيف المسافرين ، ثلاث بنات تلميذات ، وقفن بعيدا عنى • ينتظرن أوتوبيس الديزل المعنبر الذي يصل المدينة بالقرى الصغيرة ، القريبة ، لم أنظر اليهن ، أين هن من سامية ؟ بل أين البحر ، الطبرق اللامعة المتعطشة الى ماء المطر ، الأشرعة البعيدة كجناحي طائر معدودب ، آين البهجة في وعائم, عسل النحل المصفى ؟ تضحك ، تتقدمني الى الترام ، ننزل آخر الخط ، نمشى بجوار البحر الذي يتنفس بقسوة ، فجأة نجرى ، نجلس في نهاية اللسان الحجرى ، أسلد رأسي إلى فخذيها ، أحيطها بدراعي ، ربما رآنا أحد ، لكنني أقطف ثمار الفراولة ، والكمشرى ، وأشرب عضير المشمش ، اذ تهدأ تأوهاتها ، نتحدث عن آمال نرجو أن تتحقق ، ليس من المعقبول أن نقضى حياتنا في هــنه المدينة ، ياسامية ، بعد زواجنا سنرحل الى السودان ، الى أريتريا ، الى بسروت ، الى أوروبا ، نطبوف المسدن البعيدة معا ، نجلس على المقاهى تحت سفوح الجبال ، نخرج قلما وورقة ، نكتب تكاليف الرحلة الأولى • نشر بعض الاعتراضات ، غير أننا نتغلب عليها ، ها • • ريما تفكر سامية فيما قلناه الآن ؟ هـل يعرف هـؤلاء الموظفون أي مشاريع صغيرة رسمناها معا ؟ هل يدرى المدير باحلامنا ؟ كان دنياهم تتوقف على معرفة ماقالوه أو ماقاله ؟ يشـور بي الخـاطر أن أركب آول قطار الى مدينتي ، الى سامية ، وأسند راسي على صدرها وأبكي، أبكى بلا دمـوع • قمت حـاملا حقيبتي المسـغيرة ، الرصيف خلا من الركاب ، والفتيات رحلن الى قراهي البعيدة ، وسامية خرجت من المدرسة الآن •

«يوسف»

#### \*\*\*

... أنت فاكر كلمتك في ايه ياعم عبد المقصود ، ايه رأيك تبات معايا • اديك شلن كل ليلة • السريرين واحد ليه • وواحد ليك • كل ليلة شلن • آه والنبى • أحسن الأوده واسعة والبيت فاضى ، والحتة كده شكلها يخوف •

#### \*\*\*

لو معه راديو لسمع الأصوات المتبعثة من العالم ، هنا بيروت ، هنا لندن ، اذاعة الجمهورية العراقية من بغداد ، محطة الاذاعة المسربية من موسكو ، عسدن ،

الجزائر ، تختلط الأصوات ، تضيع النداءات ، حنين حاد يتحرك في دمه ، أو يسمع أغنية من قرب ، أصدوات الرجال ستبدآ بعد قليل فوق القنطرة • منه ساعتين دخل عبد المقصود - تلفت حوله ، عيناه فعصتا كل مافي الحجرة ، كأنه يدخلها أول مسرة ، ثبابة المعلقة فوق المشجب ، الحقيبة التي مازالت مفتوحة ، الحذاء ، الجورب ، الفسوطة الملونة بخطوط سسوداء ، المشط ، سأله عما يفعله بالكتب ، سكت ٠٠ ثم سأله عن سنه ، فقال يوسف : تسعة عشر عاما • قال انه صغر • تمدد ملتحفا بالبطانية ، أنهى الحديث فجآة ، لايدري يوسف ما الذي يفعله الآن ، يطفىء النسور آم يبقيه ، عبد المقصود لم يطلب اطفاءه ، لايمرف هل رجعوا الى القنطرة ، لكن ربما يطردهم عبد المقصود • يظن أن يوسف يرصد حدركاتهم فيناله ضرر - قرض يوسف شفتيه ، برغم أن مظهره ينم عن نسوم عميق ، غير ان احساسا خفيا يقول ليوسف : عبد المقصود لم ينم ، لو نظر الى عينيه من الناحية الأخرى ، لرآهما مفتوحتين • خفت الضوء ، بعد قليل ينقطع ، منذ لحظات خرجت حفلات السينما الأخيرة ، آريع مرات دخلها مع سامية • تقول لزوجة أبيها انها ستذاكر مع صاحبتها ، تاهت

نظراته على السقف ، وهو لايعرف ما الذي تقعله سامية الآن \*

# السبت ١٢/٢٥ :

أرعبنى الليلة عبد المقصود ، ظل ساعة كاملة ينظر الى ، متجمدا كالمبر • قطع ماكنت آود آن أسأله عنه • حياته ، نزلاء الاستراحة ، وحدته • وفي الهواء تصاعدت رائعة عرق لم أشمها فيه من قبل ، بالرغم أنه تمدد من ساعة موليا وجهه الى الحائط • فهو يرقبنى الآن • أذناه تسمعان حركاتى ، تعصيان دقات قلبى ، أنا تعب ، خطابات سامية لم تصلتى بعله • كل يوم أسأل مدير البوستة قبلي البلدة ، أنا حزين ، وأكاد يوم أسأل مدير البوستة قبلي البلدة ، أنا حزين ، وأكاد أبكى ، لاأعرف لماذا يبدو عبد المقصود غامضا، ولا أعرف لماذا بعدو عبد المقصود عدد المقصود عكدا "

«يو<sub>ي</sub>سف»

#### \*\*\*

الساعة الثانية صباحا تقريبا • أقصى عمق لظلام الليل ، يوسف لم ينم ، حتى قطار الثانية عشرة لم يمر، يصر السرير فبأة ، يكف الهواء عن دخول رئتيه ، حفيف جلباب عبد المقصود لم يعهد متمددا فوق السرير •

منتصف ليل الغربة ... ٤٩

ما الذى ينويه ؟ هل صمته ، اخفاء حركاته ، يخفى أمرا ، ينزل يشارك الرجال فوق القنطرة ، لايتجه الى الباب ، يقترب منه ، لحظات الكابوس ، صراحه المكتوم من الأنف ، وشلل الجسم ، وصياح آبيه ، اصحى " ، اصحى — ولو ، فمن يهرع اليه هنا " ، من يهز جسمه حتى يفيق ؟ من " ، من ، يصر السرير ، ليس كابوسا، عرق عبد المقصود يملأ آنفه ، عبد المقصود يلامس جسمه ، يده الغليظة الخشنة تسد فمه ، آنفاسه ساخنة لزجة تقشعر ماوراء آذنيه ثقل جسمه ، اليد الأخسرى تمتد الى بنطلون بيجامته ، المجرة تغرق في زيت لزج، لو يصرخ " ، لكن من يجيب لو يزعق ؟

### \*\*\*

و كنت تقول لى ، انك لو نظرت الى وجهى لشعرت بعزن لايحز فى قلبك ، انما يشعن نفسك بما لاتدريه أنت ، وسألتك كيف تعزن اذ تنظر فى وجهى ؟ قلت انك حائر ، وهنا فى الغروب كل ليلة أذهب الى صاحبتى سماد أذاكر معها ، وآرى وجهك آكثر من مسرة فى الطريق \* عند منعنيات الشوارع ، آمام معلات عصير الفواكه ، أتذكر مشروعاتنا للسفر ، وأتغيل نفسى أننى سافرت وحدى ، الى بلدة صمغيرة عند حدود

المائم ، شوارعها مبلطة ، وكنيستها قديمة ، أجلس في مطعم له شرفة خشبية ، وفجأة آراك تعبر الطريق ، ولاأكون متوقعة رؤيتك ، فاقفز من مكانى ، آناديك ، تدهش أنت اذ من يناديك بالعربية في هذا المكان ؟ تفتح ذراعيك ، تدور في الهواء • آسالك ما الذي جاء بك ، وتسألني ما الذي جاء بي ؟ ولاتسعنا الفرحة فنتمني لو تحولنا الى طائرين صغيرين ، وطرنا الى أعلى الجبال المنطاة بالثلوج • • آه • • هل تذكر عندما كنت أتقدمك في نزول سلم السينما الطويل الحديدي المفروش بسجاد أحمر ، كنت تقسول لي • • أنت الآن تنزلين سلم البوينج ، ونخرج الى الشارع ، تقول اننا اجتزنا الجمارك ، فلاشيء معنا نحاسب عليه ، ثم تشرح ثم تشرح كل ماتراه • •

## يوسف

فى اليوم الواحد افكر فيك يومين • هل تذكر الجميرى ؟ هذا الطريق الطويل المفروش بالظلال • ساعات يخيل الى آن المدينة خراب بدونك ، لم أعرف قسوة الفراق الالحظة موت أمى ، ورحيلك آنت ، سأكتب لك كل ثلاثة أيام ، ربما كل يومين ، وربما كل يوم واذا ماكتبت لى ، فلاتكتب أقدل من آربع صفحات

قولسكاب ، لابد أن أعرف كل كبيرة وصنيرة عنك • أكلك ، نومك ، شربك ، أصحابك ، وقتك ، كل شيء حتى أهدأ ، حتى أستريح ، وأخبرنى متى ستحضر • المخلصة لك سامية

### \*\*\*

# : 17/77 مالاحد

اكلت في المطعم الوحيد ، سالت الرجل عن مسكن خال حتى لو كان جعرا • فقال ان مأمور المركز كان أولى ، وانه لايستطيع احضار عائلته لأنه لايجد مسكنا، ونصحني ألا أتمب نفسى ، فأهالى البله لايقبلون عزابا في العصر خنقتني الغيوم ، همت على وجهى لا آجرو على اخراج خطاب سامية ، منذ جئت أنتظره ، عندما قرأت خظها الرقيق خجلت من سطورها ، وبكيت • وحقدت على لون الضوء المتسلل في الفراغ ، والنوافذ الكبيرة المغلقة ، والزجال الذين يحملون أكياس الفاكهة الى عيالهم • أغرقني النهر حزنا كالنحاس الأزرق ، واذ رأيت بنات المدرسة الشانوية ، وثيابهن الرمادية ، تذكرت سامية ، وارتعشت ، كانها تنظر الى من مكان خفي ،

وجهها في الفراغ • أينما رحت ينظر إلى برثاء ، كدت أرمى نفسى في النهر • كدت أضرب المدير القصير عندما طلب مني في حدة أن انقل اليه مايقال عنه حرفياً ، وإن أعتبر هذا أمراً ، بدا لي أنه يعرف تماما ماجرى ، وأنه على صلة خفية بعبد المقصود • أما الموظفون فنظروا الى بسخرية من وراء الدوسيهات ، طلب لى أحدهم شايا ، ولم آدر سبب الود المفاجيء ، كدت أرفضه ، وفي كل رشفة شعرت بنظراته \* هاأنا أسقيك شايا • أنا لست أقل شأنا من عبد المقصود طبعا، آخــ النهار سألت عم محمد عن مكان خال ، فقــال : هــذا مستحيل ، حتى الباعة ، خــادم المقهى ، هــزوا رؤوسهم ، كلهم يعرفون ، حتى الرجال المحملقون الي من فوق مقاعد المقاهي ؟ المتجهون الى المحطـة لركبوا القطار \* كلهم يعرفون ، مهدوا لما جرى ، لو أعود الآن الى مدينتي ، يعسرفون فسورا ، قلت فلأنم الليل على رصيف المحطة ، أتأمل القطارات التي تجيء ، ولاتقف ٠٠٠ شربت شايا ، امتدت مخالب طيور صفرة تنهش كبيدى ، نيزول السيواد يمنعني من العودة الى الاستراحة ، مقدمات المغيب كالطناعون ، تطردني البيوت الى الخلاء المؤدى الى غابة النخيل •

« • • أنا عارف كو سن انك دورت على لوكاندة طول اليوم • وكمان فكرت انك تسافى ، ولما يئست فكرت انك تنام على رصيف المحطة ، لكن البوليس لازم يمسكك • آنا عارف انك مش حتلاقى • حتى لو لقيت، فمش ممكن تسيب الاستراحة برضه • انت هنا • عندى • أنا مش مخليك تحتاج حاجة أبدا • بس تقول : لى على كل اللي انت بتعمله • تقرالي الجوابات اللي بتبعتها لأبوك وآمك ٠٠ وأصحابك - اذا دخلت فيلم تحكيه لي ٠ آنا من سنين مادخلتش سينما ٠ وبعدين الكتب الكثرة اللي انت جايبها معاك دى • فيها ايه • أنا يايوسف من أربعين سنة هنا • عايش على أمل انه واحد زيك ييجي ، يمكن اليوم اللي انت اتولدت فيه أنا كنت باتمني الامنية دى ﴿ أَنَا وَانْتُ مِنْ هَنَا وَرَايِحِ حته واحدة • الاستراحة كلها تحت أمرك حتى لو انتهت مدتك الرسمية • حتفضل معايا ، إنا هنا الكل في الكل • ياما قضيت سنين مادخل على أحد غير الصراف ييجي يسلم لي الماهية ٠ شوف ٠ حتى المديرية مااعرف طريقها فين · هما اللي يعرفوا طريقي · · »

### \*\*\*

د • • أقول كل شيء ولا أقوله ، الآن لم يبق لى الا أنت ، خطابى اليك ياحبيبى • هو الشيء الوحيد الذي

أكتبه على رصيف المعطة ، ومن يدرينى ربما فتحوه ، وأخدوه ليعرفوا ماقلته لك ، أما خطابات أمى وأبى وأصحابى فأنا مطالب بتلاوتها أمام شيء لن أقول لك ماهو ، انما • انه قدوة لابد أنا مدلاقى حتفى على يديها ، الناس هنا ياسامية غير الناس ، والعيون غير الميون ، الحياة غير الميات ، كدت أبكى عندما أدركت في لحظة بعينها أننى لم أفكر فيك يوما كاملا ، ملامحك بدت لى باهتة ، أنا لا أكذب عليك ، بل أصدارحك بماما ، كدت أجرى لاطما وجهى ، صرعنى الحنين اليك حتى لو أرسلت صورتك الى فلن أستطيع الاحتفاظ بها ولا تعليقها في مكان ظاهر ، هذا الشيء لو رأى رسمك ، أخاف عليه منه ، ربما تعقبك ، ربما ذهب اليك في مدينتنا • ربما قضى عليك كما يقضى على • • »

### \*\*\*

\_ يوسف ٠٠ هات فلوس عشان الغدا ٠ اسمع ٠ هات اللى مماك كله ٠ انت الفلوس حتعمل بها ايه ، ما تخليش معاك غير المصروف ، وده خده منى كل يوم ٠



# الاثنين ١٧ يناير:

منذ مدة لم تصلنی خطابات من سامیة ، حیرها ردی ، الآن آخاف علیها • حتی لو عدت الی المدینة ، حتی لو نقلت ، حتی لو رجعت ورآیت البحر کل یوم ، هل یعود ماکان بیننا ؟ • هل نجری بنفس الحیدیة ، نامل ، نتبادل القبلات ؟



## الأربعاء ١٩ يناير:

صباح اليوم طلبت المعروف من عبد المقصود ، أخرج محفظته الكبيرة • قال ان الدنيا برد ، وقال اننى صرخت مرتين اثناء نومى وأيقظنى ، كان يقف على بعد متر متى ، عيناه ثبت السواد فيهما ، فى الخارج علا ضجيج قطار ، تقدم منى ، وأمسك عنقى • يده دافئة ، أنفاسه مشبعة برائحة الدخان ، لم أتحرك ، قيدت مكانى بآلاف القيود ، أحاطنى بذراعه ، قال انه لم يكف طول الليل عن الحلم بحسنية التى تمنى زواجها من عشرين سنة ، ولم يقبل أهلها ، قال انه لن يدعنى أذهب الى المصلحة ، سحبنى الى المجرة مدرة ثانية ، وكانت الشمس ضعيفة عاجزة • وكان يرتجف وريقه

يسيل ، لايمى • ما الذى يقولونه اذا لم آذهب • وهمس انه اليوم سيطبخ حماما محشوا بالقريك ، وعلا ضجيج قطار •

#### \*\*\*

يروح المدير في الحجرة ويجيء ، يداه معقودتان وراء ظهره ، يثنى شفته السفلي ، يعضها ينفخ الهواء ساخنا من فمه ، يستدير الى يوسف كأنه يود لو يسال: هل هذا صحيح ، محروس آفندي قال عنه هنرا ، كأنه لايصدق • لكنه يثق بكل مايقوله يوسف الآن ، بعيد عدة أيام من نقله كل كبرة وصغرة إلى سيادته ، شد على يده ، تأكد له صعة ما يقوله يوسف ، كيف • يوسف لم يمرف ، ربما يتولى أحدهم نقل الأخبار اليه ، ثم يقارن مايصل اليه ، يدور المدير فجأة ، يقسم أن ينقل محروس أفندي الى قرى الفسفة الشرقية من النهر • يخرج يوسف ، يطلب قهوة ، لايبالي نظراتهم ، يطل على الميدان الصغر من النافذة المجاورة له ، حقا ٠٠ أي جرأة في تبليغ النبآ إلى سيادته ، لكن هذا ماسمعه فعلا من محروس أفندى ، البك المدير لأيملاً عين امرأته ، لكن هل رآها واحد منكم - هل رأى الجوع المطل من عينيها ؟

- حتى اننى أرجو آن تعذرنى ، ذهبت بالخطاب الى صاحبتى سعاد ، فهى تعرف كل شيء بيننا ، لكنها لم تفهم لم تعرف ، قالت ربما حبيبك فى ورطة ، لكن الخطاب به ماهو آشنع من ذلك - ماذا جرى ياحبيبى ، هل يهددك شخص ما ؟ هل اختطفتك عصابة ؟ هل أذاك المدير ؟ ماذا جرى ؟ آين خطط مستقبلنا ؟ آين ماتواعدنا عليه ؟

#### \*\*\*

فى الصباح ، أعطاه المعروف وه متمدد كالقتيل، قمنذ أربع ليال يرقد من الغروب حتى خروج يوسف لا يتعرك ، آخر الليل بدا متوحشا فاقد الوعى ، آلمحتى صرخ ، بالأمس كاد يوقظه ليبادله الحديث ، فالوحشة شديدة ، ولم يعهد يقتل الوقت فى القسراءة ، كوم عبد المقصود كل الكتب فى المجرة الأخرى ، لأنها كما يقول تشغل يوسف عنه ، أطل يوسف من النافذة غير يقول تشغل يوسف عنه ، أطل يوسف من النافذة غير أنه لم يجد الرجال الذين يجيئون الى القنطرة ، هاهو يعبر الطريق الخالى الى المقهى ، يقول الخادم ان البلدة لم تر بردا كهذا ، منذ لحظات توسط الميدان الكبر . تعب فجأة ، البيوت حوله ، صامتة ، كالحة ، وكان الخجارة لها عيهون وآذان ، انه وحيسد حتى النخاع

واليافوخ ، لا وقع أقدام يسمع في المدينة الاله ، جرى في الميدان ، الأهالي ينظرون من وراء شيش النوافذ الماثل في اتجاه الطريق ٠٠ كاد يصرخ ، مطالبا أي إحدى أن بنتزعه من هذه الشوارع، تلك البيوت، المقهى حوله خال ، كل ماجرى يبدو له وكانه يجرى أول مرة ، خطاب سامية الحزين مبدفون الآن في درج مكتبه ، الشيء الوحيد الذي أخفاه ، من يدريه ، ربما يمرف عبد المقصود كل شيء ، فمنذ ليال ساله بالحاح عن علاقته مع النساء ، يوسف يتساءل بمرارة ، لماذا يخفي عنه الخطاب ؟ لو تجيء سامية الآن ، لا أمال تبني ، لا حديث خافت مهموس يدغدغ ماوراء الأذن ، لا قبلات ، لن يطبق البحر على جسميهما كالخيمة اذ يغوصان فيه حتى العنق ، لن يقف أمام فتارين الأثاث ، هذا الركن يصلح في الانتريه " يوسف " " الصالون لابد أن يكون مودرن ، كأنه يدرك ضياعها أول مرة ٠٠ الآن سامية غريبة ٠ آمه ، آبوه ، كل آيامه البعيدة في مدينته المنسولة بماء البحر ، عض راحـــة یده ۰۰ یخاف آن بری سامیة فجاة ، ستمرف کل شیء٠٠ تهرب - تجری ، فریما اخذها من یدها ، وذهب بها اليه • فعلا • ضاع كل شيء •

يوسف يقوم واقفا ، الابر المدببة تنفذ الى كليتيه، على الناصية ، دكان لبيع أدوات الحيلاقة زجاجات المطر ، الأمواس أنواع ، المقابض الحمراء ، السوداء ، الزجاج متسخ ، أصابع قدميه تتوتر داخل حيدائه ، تتشابك يداه ، ربما رآه عبد المقصود ، يساله لماذا للحل يعرف بسرعة ، ربما يرقبه الآن ، ربما صاحب المحل يعرف ، يضربه عبد المقصود - يمزقه ، يرميه في الترعة ، لن يدرى أحيد ، الميرة تشيطره ، يزداد الضوء قتامة ، والبرد ينفذ الى رئتيه ، غمامة كبيرة تزحف فوق البيوت ، يرفع عينيه ، تحتوى وجها مشوه الملامح ، جاحظ المينين ، كاد يعرف صاحبه ، لولا أن الريح أزاحتها بسرعة ، يخرج صاحب المحل فجأة ، يقول وعيناه محملقتان الى السماء : المطر لاينزل هنا أبدا ،

ناطق الزمان

## مفتتح

فى آخر الزمان ، يقسوم المهسدى المنتظر ، ناطق الزمان ، يجىء الى الدنيا بعد أن يبلغ آمرها حدا لا حد بعده ، انه يعيش فيها ، لكنه خفى لايبين ، وفى يوم معين ، لحظة بعينها ، قيل انها ساعة شروق الشمس ، يظهر ، فيراه آولا الصفوة ، ثم يعم ، عندئد ، يقوم جنده من كل مكان ، من فجاح الأرض ودرويها يجيئون، آمنين ، موحدين ، فيملك الدنيا شرقها وغربها ، كما ملكها سليمان المكيم ، وذو القرنين ، قال الثقاة انه لو

ظهر ثم اختفى ، وبقى فى عمر الدنيا يوم واحد ، لأطال الله عمر ذلك اليوم حتى يبعثه رب العالمين ، حينئذ تمتلىء آخر آيام الدنيا عدلا وسلاما ، من بعد أن ملئت ظلما وجورا \*

## جمع الكلمات

هدا القطار سرعته ، انزلق سامى من فوق السطح الى فراغ مايين العربات ، قفز الى الآرض ، الهواء بارد . يقول ان الشتاء بانتظاره ، باع كل شيء من أجله ثم فارقه و سامى نهار هجره الضوء و في الميدان حركة ليالى الشتاء ، آصدقاء يفترقون ، جنود عابرون، مواصلات تشح فتنقطع أوصال المدينة ، عليه أن ينتظر ، يبحث عن مولاه من جديد ، سيجمع الحروف ينظمي الأرقام ، ينبش ضفتى النيل بابرة ، وحتما يلاقيه كما قابله ، سامى الآن وحيد حتى محرارته ، بلا بطاقة شخصية و نزع كل آوراقه ، ربما أذاقوه بلا بطاقة شخصية و نزع كل آوراقه ، ربما أذاقوه الزمان ، من يجمع كلماته ليوصلها اليه ؟ سيختفى في الزمان ، من يجمع كلماته ليوصلها اليه ؟ سيختفى في الزمان ، من يجمع كلماته ليوصلها اليه ؟ سيختفى في الزمان ، عن يجمع كلماته ليوصلها اليه ؟ سينيه يسأل الناس عنه ، بارهاف آذنيه ، بالذكرى المتبقية ، يزور أمه ، يرثيها ، ينش القرنفل الحرين فوق قبرها ،

يطلب منها أن تساعده ، يسالها كيف تجلى له ؟ رافقه. أضاع ماأضاع من أجله ، ثم غادره • • كيف ؟

# أول الرؤية

سامى لم يفه بعرف ، بالدموع كاد يبكى ، عاش اللعظة الأولى ، رعشة الميلاد ، خروجه اليومى الصباحى ، السماء زجاجية اللون ، سور باب النصر ، عربات نقل الرمال ، رآه قادما من ناحية جبل الدراسة، قرص الشمس يلمس حافة الصحراء ، كل شيء آعد ، ليس صدفة آبدا ، رآه في خفقات النهار الأولى ، في اندفاق اللبن من اناء الى اناء ، سامى يمرفه ، هذا.

\_ أنت أنت • •

فى الطريق يخطو الصباح طفلا واسم العينين . رقائق هواء •

ـ لن تفارقنی یاسامی ، مادمت عرفتنی ، قلا یحدث هذا کثیرا فی الزمان \*

أتركنى فى غرفتك • • أمض انت الى رزقك فأنا. لست معدودا بمكان •

« يبدأ ميلاد سامى ، فكر في اللهجة التي يواجه

بها صاحب المتجر ، هل يتحدث اليه بأنفه وكبرياء ؟ أو بلا مبالاة ؟ كتم مانى نفسه ، لم يبح ، ستجيء لحظة معينة ، يدرك فيها صاحب المتجر ، وزملاؤه البائعون، والزبائن ، ماأدركه هو ، يعلمون أن سامي أول من اتبع خطى ناطق الزمان - في المساء عبر كوبرى الجلاء ، تماوده لحظات قديمة ، تدفق دما ساخنا طريا ، عودته الى البيت ، يعرف أن أمه بانتظاره ، أبوه سيما، بعد قليل ، خروجه لمقابلة هدى ، حركة يدها ، لون نظرتها ، رقة وجهها ، مشروعاتهما المشتركة ، تخيلهما شكل البيت الصغير المنتظر ، وقوفه آمام الهدايا ، يتمنى لو اشترى لها ، هذا القماش ، تلك الحقيبة ، يسرع الخطي ، يقابلها ، تضحك فرحة ، آه من حبرته في ليل المدينة ، البيوت قضبان سيجن ، آين يذهب ؟؟ يود لو يوقف أي رجل مار ، فقط يتحدث اليه • فترة مابين السابعة عشر وعامه العشرين ، بسرعة مرت ، لم يعشمها ، أين راحت ؟ كيف ؟؟ كأنهما سمتعود من جديد ، فيض الآمال ، اعداد المشاريع ، لحظات ماقبل النوم ، الآن ٠٠ يعرف أن أيامه العطشي كأرض جفاها النيل، ستنبض من جديد ، بكل ماراح ، ماضاع ، صوامع الغلال الفارغة المنخورة تمتليء من جديد ، يشم رائحة التين في الطريق الضيق المحفوف ، بمجرى النيل في قريته النائية ، يمشى مع آبيه • سامى لم يزر بلدته منذ سنين ، بعد اليوم ، لن تعصاه كلمة دلو» في ميدان التحرير ، أمام محل يبيع الألبان ، تتصدره زجاجة لبن كبيرة ، آلة عصير مانجو ، مناضد ، همس شهاه ، قهاوم نفسه ، آه لوصرخ ، يطلع فوق برج القهامة ، يدور بهليوكبتر ، يشهق فراغ مابين الأهرامات ، يعبر الكبارى الصغيرة المصنوعة من أخشها النخيل ، يطوى مدقات الجبال ، يزعق • • أبشروا • • ظهر قائم الزمان • • ناطق الزمان • • جاء المدل والسلام • •

#### \*\*\*

يطل من عينيه آمان ، آه ياآب اليتيم ، ياعائل الشريد ، يامنجي الغرقي ، نطق فارتجف سامي :

ــ أحسنت ٠٠ لكل لحظة أوانها المحتوم ٠٠

بينهما صمت شفاف نقى كمام الورد ، أصوات المصر تجيء من الحارة ، يسمعها سامى آيام عطلته بمفرده ، ثرثرة النساء ، نداءات الباعة ، يتامل ايقاع أصواتهم وثنوعها ، دياخس ياحلو قدوى» • «أصلح بوابير الجاز» • «الوداع ياملوخية» • آوان بعيدة تسقط ، موقد يشتعل ، صفارة نائية ، مجهولة المصدر،

٠٠٠

رفع عينيه ، وجه ناطق الزمان ، لايمكن من خلاله تعديد الممر ، ربما قال ناظر ، انه مليح ، شاب ، ربما أكد مجرب حكيم ، أنها ملامح شيخ جاوز الثمانين ، معير ، متى مولده ؟؟ هل لمثله أم عانت آلام المخاض ؟؟

\_ طالت رحلتي ٠٠ غدا يأتي طوال السنين ؟؟

الليلة ، يتم سامى عامه الثلاثين ، من منتصف الليلة ، ينحدر الممر ، إيام رمضان الأخيرة تقول آمه ، مانصحومه لن يتكرر ، آيام شبابه آيضا ذابت ، قال ناطق الزمان انه سينزل الى العالم " خفى " واضح " ظاهر " باطن " سيعرفه المقربون " بصيته يزعقون ، الأمر فى هذا الزمان صعب ، عسير ، منذ مئات السنين انتقل بين القرى وآسواق المدن ، عبر جبال الثلوج البعيدة ، الطرق الصحراوية المؤدية الى الواحات ، بمضها الاوجود له الآن ، لم يطلب منه أصد تصاريح سفر ، وإذا استبد الفضول بمخلوق فهو طواف لايهدا له قرار. "

\_ أما الآن ٠٠ فالمنار ٠٠ المنار ٠٠ كثر الأعداء ٠٠

سامى الآن يشم رائعة آبيه ، عودته كل ظهيرة بأقراص الطعمية الساخنة ، أمه تقعد آمام باب المجرة، ترتق قطع القماش القديم ، تصلها ببعضها ، بتان تعاول ادخال الخيط في ثقب الابرة ، سامي يشد ثوبها، تقول: اسكت ياسامى • اسكت ياحبيبى • قال ناطق الزمان ، أن الاعداء لاينتهون ، منذ أن طاردوه زمن الخلفاء الأمويين ، ثم العباسيين ، اضطر الى الاستتار في بلدة صغيرة ، رقيقة ، كقصيدة شعر ، نائية في الشام ، اسمها سلمية ، منها انطلق دعاته ، غير آن الخالف دب بين الأتباع ، ظهر أكثر من واحد في المفسرب، في الهنسد، في مصر والسودان، ادعى كل منهم أنه هو ناطق الزمان ، لكنهم خابوا جميما ، بقى هو مستشرا ، سمامي ينظر الي مولاه ، يسمع اقتراب الليل ، يرى أعسوامه الشالاثين ، زمان ٠٠ زم أبوه شفتيه و فرح بنجاح ولده ، قال انه سيبيع ما أمامه وما وراءه ، سيحمل حقائب المسافرين ، يقشر عيدان القصب في مخازن محلات العصير • المهم أن يتم سامي تعليمه ، سامى دخسل الجامعة ، بالتحديد كلية الطب ، ربما جاء تعيينه طبيبا لمستشفى البندر ، يمتطى الحاج سلامة أغنى مشايخ البلدة ركوبته ، يمضى الى المستشفى، الثقة تملؤه ، الطبيب هو سامى ابن هارون القط ، أي والله هارون عرف يربى ، يقول سامى :

\_ يمكننى أن أعمال الساعدك • • وفي نفس اله قت • •

يمسيح أبوه : أبدا ، أبدا -

همس سامي وعيناه تحتويان ناطق الزمان :

\_ أينما ذهبت تتحقق الأمنيات • لن يتحسر انسان •

يقترب الفروب ، لايطيق سامى البقاء فى حجرته ، كل مايراه ، يتدفق اليه • حزين • يفصله عن العالم بحر صعب العبور ، مولاه يتمتم بادعية تناى بالوحشة ، أصابعه تمسك طهرف ردائه الأبيض ، فى أى عصر نسيج ، من أى قماش هو ؟؟ قال أن غربته لن تطول ، لن يرى آكثر مما رآه ، هنا فى مصر منه أربعمائة وسبعين عاما ، قبض عليه العسس ، ظنوه من العهربان المفسدين ، رموه فى سجن الجبل ، قضى فيه مائة عام ، وازدادت تسما ، تعاقب عليه آجيهال من الحراس ، استسلم للقضاء ، أليست عذاباته بعض مما يجرى فى العالم ؟؟ كاد سامى يبكى ، يسمع نواح آمه •

طفشت في الحارة ، تشد ثياب النساء ، تهيل التراب فوق شعرها ، تعض نفسها ، تقول للرجال

العابرين و راح أبو سامى و راح من يعولنا و راح رجلي من يعولنا ؟؟ رجلي ؟؟ الفاظ توجع سامى ، ينزل ثقل في دمه ، تمريشة الأسرة انكسرت ، الدفة التوت ، الربان هوى في قاع اليم ، النخاع انسل هاربا من تجاويف المطام ، طوال شهور تلت ، آمه تلقى احزانها فوق آمور صغيرة وقعت ، لو آنه لم يذهب الى اقاربه في محسورا لم يرها ، لو آنه رأى اخته نظلة ، راح محسورا لم يرها ، لو آخذ اجازة ، لم يعرف الراحة أبدا ، لكن مانسبة هدا الى مارآه ناطق الزمان ؟؟ عذا بات الكون منذ أن كانت الأرض صغرا ملتها ، ثم ينات وحشى خال من الانسان ، الآن الليلة ، تولد الإمال ، تمتليء الوديان خفرة ، تمطر السماء في ألواه المحتضرين عطشا و

### \*\*\*

و اذن م أنت تمرف اليوم الذي رحل فيه أبي م

ليس هذا فقط ، انما يعرف رعشة قلبه عندما عرف هدى ، لمظة مجيئها الى المتجر تشترى فستانا بسيطا ، تلاقى عيونهما ، ادراكه مرفأ المنين ، مسولاه يعرف طوافه الليلى ، هدى موجودة فى كل فتاة عابرة، تطل عليه من مكان خفى ، معه دائما ، يتخذ فى جوف

الليل قرارا ، أن يمشى من الحسين حتى كوبرى الجلاء ، يقف عند الحد الفاصل بين محافظتى القاهرة والجيزة، يتأمل أضواء العوامات الخافقة ، دوامات التراب الصغيرة والورق ، يلفظ اسمها قرب الفجر بصدوت عال • • هدى • • •

\_ مادمت أتبمك ياضيا عينى يامولاى • • فلن أقطع الأمل في رؤيتها •

هز الامام رأسه ، ضوء الطرقات هامس ، تندر السماء بهلاك مجهول ، رآها الامام مند الف سنة ، ترى ، ماذا جال مجهول اهرا الارمان البميدة ، وهم يتطلعون الى السحاء ذاتها ، ما آثارته كل لمظة من أحلام ، الهمس المتبادل ، ناطق الزمان عرف الغروب في قرى الهند المفيرة ، رآه في الاحساء ، في نجد ، بين ربوع الشام والأناضول ، بلاد القفقاس ، بحر الزنج، والبحر المحيط ، تجاوزا شوارع الضجيج ، خرجا الى الخط المديدي المار قرب المقول ، المطار الصنير ، الأنوار الزرقاء على جانبي المد ، تنفذ رائحة الليل ، انفاس الزرع ، الوقود المتساقط بين القضبان ، المولى يتطلع ، يكشف حجب المستقبل ، يرى مدنا أخرى يتطلع ، يكشف حجب المستقبل ، يرى مدنا أخرى

منثورة في أركان العالم ، جزرا صغيرة يسكنها الأعراب والصيادون • •

# البحث وراء التعابير

المراكبية لايآخذون معهم أحدا ، لكن ريس هــذا المركب عندما رآهما أفسيح لهما مكانا رحبا ، قال لناطق الزمان ، انه انتظره طويلا ، عند المنحنيات الحادة في المجرى ، في جرى الموج ، راح يغني ، لصوته رائعة آرض الشراقي ، المتشوقة الى الماء ، يذكر امراة بعيدة وعيالا صفارا ، يذكر مذاق البتاو البيتي ، الحليب الصباحى ، رائحة خبيز الظهيرة ، رحلته تستغرق شهرا كاملا ، ينقل الحبوب ، الفلال ، أواني الفخار ، سامي يرقب خطو الليل ، الليل لاينزل من السماء ، انما يطلع من النيل ، من الضمفتين ، من هسيس المشرات ، ذرات الغبار التي تثيرها أقدام المارة فوق الطرق الريفية ، يترامى اليه تصفيق وغناء ، ربما فرح في قرية نائية، تسدوم الريح فتطوى الزغاريد وطلقات الرمساس ، ناطق الزمان يغوص في طبقات الظلام بمينيه ، إينما ذهب يدركه البعض ، يجهله آخرون ، او يتجاهلون ، ريمسا أدركهم الأعسداء المترصدون ، في كل مكان ينتشرون ، قال الامام انهم في البحار الكبيرة ، فـوق

#### \*\*\*

يرتمش صوت الشيخ المجوز ، ناظر مدرسة ابتدائية ، قال انه رأى تباشير الأمل في انطلاق النهر كل عام ، في اكتمال القمر بدرا ، قال ناطق الزمان انه لايجىء بالخوارق ، لكن شيئًا فشيئًا يدرك المالم

المقيقة فيقوم قومة رجل واحد ، سامى ، يقف عنه آخر بيوت القرية ، حافة الصحراء ، يدوس بقدم في الخضرة ، وقدم في الرمال ، في سكون الليل يحسكي الشيخ عن رجال ما توا بعد انتظار الامام طوال حياتهم، كثيرون خرجوا يبحثون عنه ولم يرجعوا ، توهج في السماء نجم وحيد ، ليست المرة الأولى التي يجيء فيها الى هنا ، منذ مائة عام قضى بمصر زمنا ، ظهر في كافة قراها , تجوعها ، لم يامن أعداءه كهذه الفترة ، يظهر في أسواق القرى ، يتحدث الى باعة السمك المقلى ، وقطع البطيخ ، بالضبط قبل انكسار مرابى ، توالت الأيام ، تحسس وقع الهزيمة ، وبدأ الحزن يفاجئه ، لم يهاجمه سنين سجنه الطويلة ، ياه ٠٠ لايضارعه الا حزيه المغليم كلما تذكر موت الحبيب ، المنجب النجيب، ابن بنت رسول الله في كربلاء ، في كل عام ، عاشر محرم يقيم حدادا يكاد يهلك فيه ، لكن الحدار ، لو قضي لن يقوم أبدا ، لن يمرفه أحد ، أبدا يضيع ، اختبا في ثياب الفقراء القتلي كما اختباً من قبل في جراح ضحايا المغول بخوارزم ، انطوى مكتئبا ، في فوهات المدافع المنطفئة ، ناءت أعضاؤه بالهم فاستتر ، لو أمسكه الأعداء لمزقوه قطعا اكبرها في حجم الحبات الرفيعة داخل ثمر البامياء ، غير أن فلاحا عجوزًا من هذه القرية

عرفه ، تحسس سامي بعينيه البيوت في الظلام ، ربما نام الفلاح الفقير في بيت من هؤلاء ، ريما طبع أثسر قدميه فوق التراب الذي يطؤه سامي الآن واقتفى الفلام خطوات الامام ، أقسم الايمان ، وأخل على نفسه المواثيق والنهود ، لن يعلن حقيقة الامام لأحد ، انهما غارقان في زمن الهزيمة - الفرحة غاصت من القلوب، أما المسزن فيثقل الجميع ، شاب الأطفسال ، قال ناطق الزمان ، أن هذه الأيام البعيدة ذكرته بآيام آكثر بمدا ، عندما دخل سليم العثماني آرض مصر ، ولعب سيفه في الرقاب ، فكاد ينهي الحي بها ، عندما اندفع المغول عبر بغداد ، واجتاحوا الشام في آيام ، رأى في الأعداء رجالا من قبائل الهون البربرية القديمة ، أعوان تيمور لنك ، الأسبان الغزاة ذابحو هندود الازتيك ، محاربون متوحشون يأكلون لحم الانسان ، ارتعش سامى ، يكاد يسمع وقع سنابك الخيسول ، اصبطدام السيوف بعظام الجباء ، قال ناطق الزمان لابراهيم الفلاح العجوز ، ربما لاترى تحقيق الآمال ، تموت محسورا ، أصر الرجل على صحبته ، زعق مناديا ربه ، عند قرية «شطب» جنوب اسيوط نسى أهله وماله ، ناطق الزمان أبوه ، كفنه بيديه ، صلى عليه ، يومها تبلك السماء بمطر ، ناءت بحمل غيوم ثقال ، زعق الناس

فى الصعيد ، آهذه نهاية الزمان ؟؟ آحرق الجثمان ، تشر الرماد فى آركان العالم وزواياه ، ابراهيم العجوز تبعه حتى النهاية ، لم يعرف الياس • • بكى ناظر المدرسة ، المارفون به ، الذين جاؤوا من القرى المجاورة ، طافوا معه البيوت ، يكاد سامى آن يرى الفلاح العجوز ، البراهيم الراحل منف مائة عام ، ذهب ولم تتحقق الإمنيات ، آما هو ، سامى فكل شيء يراه دانيا ، يدخل الجامعة يصبح طبيبا ، يسمع صوت هدى ، هدى الآن قرية منه ، تقول :

ـ مرور سنوات لايعني شيئا -

تقلب السكر في كوب الكركديه الساخن ، لمظات صمتها في أذنيه حديث متمبل .

\_ اسمع ٠٠ نيدا مبا ٠ نيداكر دروس الانجليزية ٠

لايرد ، تتدفق في صدره رخبة ، يحتضنها ، يذيب فوق صدرها حزنه ، ارهاق آيامه ، يرقص فوق منضدة الرخام ، يثب فرحا ، يهدأ , ينفي آلامه ، آه لو يزعق في الناس ، تفيض عواطفه ، تعبر ضلوعه ، ولا عاصم بعد اليوم \*

ــ لن يستغرق الأمر سنة • تعيد دخول الامتحان ،

وألحقك آنا في الجامعة • ليست رغبة آبيك • • انها رغبتي آنا ياسامي • •

ينطق سامى ، تتبدل الأشياء ، يرق الهواء ، يقول :

\_ هدى انت رائعة ٠٠ انت ملاك ٠٠

ـ ياسلام ياسامي • •

تضيق مابين حاجبيها ، يمتلىء الفراغ بينهما بالآمال ، تبدو له سنين عمله القاسية وهما ، اسراعه ليلحق مواعيد العمل ، الوقوف النهارى الطويل ، ابتساماته للزبائن ، لم يعرف هدى خلال هذه الفترة ، كانت تعيش في مكان ما ، قبل أن يعرفها ، يفكر ، لابد أنسه سيلتقى بانسانة تعيش الآن في منزل معين ، تتحدث ، تأكل ، ترى من هي ؟ تبرق عيناها في ذاكرته، في اتساعها يرى البلاد التي تمنى السفر اليها ، البيوت المغلقة في الشتاء ، داخلها أصوات الشارع البعيد ، وعيق السكارى ، هيدى تحمل صينية فوقها أكواب الشاى الساخن ، بين يديه كتاب ، في أنف واثعة الأثاث البيتى ، تسأله عما يحب أن يأكلاه غدا ، تتصل به في العمل ، تدعوه الى غذاء خارج البيت ،

الا تذكر • اليوم عيد زواجنا الثالث •

تعلق ذقته كل صباح ، تميل تفسل ماكينة الحلاقة، يخطف منها قبسلة ، يحتضنها عند وقوفها أسام البوتاجاز •

ياسلام ياسامي • حاسب الشاي •

يدعوها الى السينما ، يمضيان مما ، يسمع صلاة ناطق الزمان ، حديثه الى مريديه ، تضحك هدى ، يبعث أبواه حيا ، مورد الوجه ، قرحا ، لا أثر لشقام السنين حول عينيه ، ينفض الغيار عن لافتة مدرسته القديمة، تعود طفولته ، آه ماأقسى استرجاع الطفولة ، ياكل كشرى الحاج عبد العاطى ، يفرح لمجيء يوم الخميس ، يمقبه الجمعة \* أجازة ، يسمع قبقاب آبيه العائد من صلاة الفجر ، يفرح في لحظات الهدوء بين آمه وآبيه ، يعاكس الحاج حامد مهدرس الرسم الذي يقف في الفصل ، يتاكد من اغلاق الأبواب والنوافد ، يتطلع اليه الصغار ، يقول ٠٠ اسمعوا يا أولاد ٠٠ اسمعوا غناء عن مصر ٠٠ عن مصر يا او لاد ، يحمروجهه ، ينظر الصبية الى بعضهم ، يتضاحكون ، يستمر غناء الحاج حامد ، الآن ، يذكر مذاق صوته ، يكاد يبكيه ، يتحدث الناظل ، والحفير ، والرجال • • لكن لايد من مواصلة الرحيل ٠٠

ـ أرى دبيب اقدامهم • أشعر بانتشارهم • أدرك سامى خوف ، صاح طائر غامض فى الفراغ المتيم ، هل يجرؤ أنسان ؟؟

ــ أنا لايدنو منى أحد \* عنــد الخطر استتر من جديد \* أذوب في الصخور \*

أَلِما الله الكهوف الجبلية • أغوص في عروق النحاس في قاع منجم بعيد •

غير أن الأمنيات تشل الى حين •

سامی یهوی ، تصدمه آرض مجدیة ، یسفح عمره عند أفق المغیب ، تصود الیه مظات احتضار آبیه ، رحیل هدی ، احترق قلبه یومها ، ما الذی جری ؟

ــ متى يجىء الأوان الذى لابعــده ولا قبله أوان يامولاى ؟

َ ـ ریما یعد شهر \* یُعـبد سنة \* علم هذا عنـبد دیی \*

لو يزعق سامى ، يعبر صوته الهواء ، يجفف صديد العيدون ، يدور مع سيور ماكينات الطعين ، ابراج الكهرباء ، الجمال المثقلة بالبوص - ـ يكون عمرى انقضى يامولاى • لاأسمع هـدى أبدا • أيرضيك آلا أسمع هدى • لاتعود من الحجاز • لا أراها بكرا من جديد • لا أدخال الجامعة • لاأداعب طفلى الصغير واسع العينين • طرى العظام •

زعق ريس المركب ، يلتوى القلع التواء حادا ، يغف السواد ، يفصح النهر عن ملامعه .

- نشقى من أجل الأجيال المقبلة ياولدى • ينعم أهلها ، يشربون اللبن من النهر ، يطرح نخيلهم خيرا وطمأنينة ، ياوون الى مضاجعهم آمنين • الغربام المفزعون فى سواد الليالى ، يرق هواؤهم ، يصفو ماؤهم •

ارتجف سسامی ، آین آنا عندئد ؟ آین موقع قسده ؟ آی أحجار تثقل رآسی ؟ الظلمة تغشی عینی جمعمتی الخاویتین ؟ آحلامی تتجمد فی آربعة وعشرین ضلعا ، عمود خال من النخاع ، رسغان وساعدان ، کل ما أصبوا اليه ، آین آنا حینئد ؟ آین آنا ؟

### \*\*\*

يخوض مياه النهر الضحلة صياد عجوز ، يغرس حربة رفيعة مدببة في ظهر البلطي والبياض ، سامي يتأمل قدمي الرجل ، منتفختان بالرطوبة والطمي ، أخبرهما أن القوارب تزحم النهر ، صغيرة سريعة ، في كل منها رجالان ، يوقفون المراكب الكبرة ، يفتشون أواني الفخار ، ينبشون أجولة القمح والبلح ، حتى الآلات الصغرة المرسلة في الصنادل ، يفكون تروسها ، لم يبد على الرجل أنه عرفهما ، أيضا لم يتضم هل يجهلهما ؟ لكن ما الذي دعاه الى اخبارهما بهذا ؟ عاد صامتا يخوض في الماء الضحل ، نظر سامي الي مولاه ، لطالما أطبقت عليه جبال أعلى من هذه ، صخورها أقسى، يعرف العالم شبرا شبرا ، وأرض مصر ، يعرف أي نتوم حجرى عند مدخل سمالوط ، التمثال الأثرى القديم قبلي جهيئة ، الغرف التحتية في البناء المسيد قبل الطوفان ، حيث الجـو رطـوبة في الصيف ، دفء في الشتاء ، يعرف المانع ، مواعيد تغيير الورديات ، صوت مدقع رمضان في دمنهور ، السويس ، صوته في قنا ، يحملق الى فراغ بعيد ، ربما يرى أشياء لايراها هو ، سامي توجمه خواطر مفاجآة ، زيمسا يعلو آزين طائرة ، تطل منها عيون فاحصة ، تكشف المخيآ من الآمال ، يمسكون ناطق الزمان وتابعه الأمين .



جنود اللورى عند المدينة الريفية الصغيرة ، بكاء

أحدهم على صدر الامام ، اسمر الوجه يتوسيط ذقنه وشم أخضر ، مستدير ، بأهت ، رآه من زمن ، كان مادة أحلامه ، والصور التي تخللت آيامه ، انه من الأنفوشي، يمتلك دكانا صغيرا يبيع فيه الفول والطعمية ، راى الامام في صباه ، في كل تجويف يفصل بلاط الرخام الصغير الذي يرصع دكانه ، في مرض أمه وشفائها ، انتظره عند ساحل البحر ، في آبي قير ، فوق الصخور ، لاشيء ، انما صخور وحشية ، مقطبة الجبين ، تلتقي التقاء صريحا بالسماء والبحس ، لم ينله ياس ، حتما ينطق الزمان ، من زرقة المياه ، من ملوحة طعمها فوق الشفاه ، من الطوابي القديمة ، مواسير مداقع عرابي الملقاه برثاء ، آه يامولاي ٠٠ جئت ، وأين ؟ هنا ، ارتجف اللورى ، لانت ذرات الرمال ، مالت عيدان القمح ، ابتهل بقية الجنود ، دمعوا ، نزلا من اللورى ، تساءل سامى ، هل يراهم ثانية ؟ محمد ابن الانفوشى ؟ حسين نساج الكليم من فوة ، عبد الهادى عامل الآثار الصميدى ، السائق النوبي ، قال ناطق الزمان : حتما سيرجع ، يلقاهم - هو موجود حتى لو استش ، فوقهم ، حولهم ، لاتبعده عواصف ، لاتقصيه صفارات انذار أو دوی -



« لماذا لم يقل لهم أنه ربما عاد بعد الف سنة كما أخيرني ؟؟»

بماذا يجيبون لوعرفوا أن الأعمار ربما انقضت في انتظاره ؟ استعاد سامي بالله ، يعسرف أن الأعسداء يطرقون الوسائل كلها ، ربما بذروا الشك في حقل روحه ، توجهوا الى الحجاز ، ذبعوا هــدى • • يعضرون دمها الحبيب اليه ، يرمدونه على عينيه فيضيع منه البصر ، يقطع من رجوعها الآمل ، شربهما الكركدكه ، همسهما الخفيض ، توقفهما أمام فتارين الآثاث ، متاجر التحف ، تقول هي ، لابد أن يحتوى الصالون على فازة صينية ، تمثال محارب زنجي ، ترى الأطفال الصفار المصنوعين من الشمع في متاجر الثياب ، تهمس ، إنا أحب الأطفال ، يخجل ، يتحدد الحديث ، تطلب بنتا ، يتمنى ولدا ، يكتفيان لاأكثر ، أما اذا جاء الأول ولدا والثاني ولدا والثالث ، تضبحك هدى ، لابد أن نصبر حتى تجىء مديحة ، يسأل : لماذا مديحة بالذات ؟ الأنها تحب خالتها جدا ، هي أمها التي لم ترها ، لم تعرف الا هي منذ الرضاع ، يتساءل سامي : هل تذكر هدى بين جدران بيتها المغلق ماقيل ؟ ربما أنجبت ابنة الآن ، حجازية الجنسية ، هل اسمها مديحة أيضا ، السماء خاوية ،صعراء في عيني سامي ،الذكرى تلون الأشياء. تنأى بالامام عنه ، يفيق الى وجوده •

#### \*\*\*

لابد أنهم يسدون مفارق الطرقات - يختبئون
 في عربات الرحيل -

يكاد يحس لون نظراتهم ، قسوة خوذاتهم المكسوة بشباك التمويه ، الهلاك في أسلحتهم ، تهب ريح عاتية ، الاسماء حـزينة ، الارض تقلع ويفيض الماء ، سكت الامام لحظة كالسنين ، ثم قال انه يعرف دربا صحراويا غرب قرية الغنايم ينتهى في صححراء السودان ، لم تطرقه قدم انسان منف من به يتبعه ابراهيم الفلاح تطرقه قدم انسان فيه ، يخرجان شمال آسوان ، خطت قدماه فوق الحصى ، رق الغمام ، غير أن شيخوخة غريبة ، زحفت في عروق سامى ، لكم أحس يقصر عمره ، في مقهى الكلوب المصرى يطوف رجل ضخم ، يرتدى معطفا جلديا ، فوق ظهره رسم لوحه أحمر ، مشوه الملامح ، بارز الأنياب ، لايدرى أهو لجن أم انسان ؟؟ اربعة شهور ، في كل يوم ، نفس الميعاد يجيء ، يضع بطاقة صغيرة فوق منضدة الرخام .

« اقرأ الكف ، حاضر ، مستقبل ، أحلام ، أمنيات سيد » \*

يهز سامى رآسه ، يمضى الرجل ، حتى استبد الفضول بسنامى ذات مساء ، شد الرجل كرسيا ، بسط سامى راحته ، ضيق الرجل عينيه ، آسند رآسه الى يده، رأى سكة السفر ، وضيقا فى العمل ، ومرضا فى الصغر . \*

# ــ لكن عمرك قصير • ولو عشت مائة سنة •

ماذا يقصد ؟؟ أى شيء يعنى ؟؟ لكنه قام ، دس بطاقته في حيبه ، طلب خمسة قروش ، في هذا الوقت لم يمض على سفر هدى أسابيع ، هجره النوم ، راحة عقله متعة نائية ، لايدرك صاحب المتجر ذرة من همومه ، أما الزبائن فيشيرون ، أعطنا من هذا ، لا • ، من الأحمر ، اقطع أربعة أمتار ، لاداعي ، نلف من الأحمر ، اقطع أربعة أمتار ، لاداعي ، نلف لناطق الزمان عن عذابات الليالي ، سهره حتى مجيء الرجل العجوز مجدوع الأنف ، في الفجر تماما يصيح : الرجل العبوز مجدوع الأنف ، في الفجر تماما يصيح : وينصب الميزان ، يبقى اللي وفي يعدى • أما الشقى وينصب الميزان ، يبقى اللي وفي يعدى • أما الشقى حيران» يدرك أن يوما انقضى ، يزعق الرجل ، تبقى حيران» يدرك أن يوما انقضى ، يزعق الرجل ، تبقى

النوافذ مغلقة ، من عشرين سنة ، اذ يقترب الفجر ، يصبيح رجال الحارة على بعضهم ، الحاج حنفى جساس البهائم ، يدس يده طوال النهار في الأرحام ليعرف الأنثى المقبلة من الذكر ، يصبيح على سعودى الجزار ، سيد الترزى ، على المكوجى ، ينادى أبوه ، فى دفء فراشه ، يسمع وقع القباقيب فوق بلاط المساكن ، اندفاق المياه من الصنابر ، تجمعهم فى الحارة ، عز ليالى المستام ، يمضون الى الحسين ، أصواتهم عالية ، تبقى معلقة بين البيوت زمنا بعد ذهابهم "

### \*\*\*

آه لو يسآله سؤالا واحدا • هل ينوى الاستتار عنه • الاستتار عنه هو ؟ هـو الذى ودع كل شيء ، لايجرو على نطق الكلام ، يردده عقله ، فى خطوه فوق الرمال القاسية ، تحت انصهار الشمس الذى يزرع المسوسج فى الميون ، يمرف أن الامام يدرك مافى خاطره ، عالم بكل شيء ، قرآ كل ماجرى وماسيجرى فى كتـاب الجفر الذى تركه الامام على ، فيـه رعشة الأمل ، خفقة القلب ، هـم الفـكر ، فـرحة النريب بالمحودة الى دفء البيت ، آه لو يجيب حـيرته • يفك ضيقه ، يلملم عذابه • لكنه لم يفه بحرف •

### مناجاة القلوب

ماذا يفعل بدونه ؟؟ يسعقه يأس مغرب كالغزاة ، لحبته طالت ، ملامحه تغيرت ، قبل رحيل آبيه ، موت أمه ، قبل حدوث شيء مخيف ، تمسى به لحظات يتجسد فيها ماهو متوقع ، عند خروجه من سينما الكواكب ، عودته الى البيت في منتصف الليل ، يرى اللحظة التي تموت فيها آمه ، بكل سوادها الذي ينزف دما ، عندما رحلت رأى أن الموقف غير جديد عليه ، الآن يهوى قلبه بين ضلوعه ، يرى لحظة يخافها ، استتار الامام ، احتجابه عنه ، هل يقتل نفسه عندئذ ؟؟ وهل هذا سبيل للعثور عليه ؟؟ الآن يجلسان آمام كشك صغير داخله عجوز نوبي ، يحرس ملايين الأطنان من الطفلة المنتزعة من المنجم القريب ، مهجور منذ شهور ، لكن من يتوغل أربعين كيلو مترا شهمال أسوان في الصهورام ليسرق حفنة حجارة أو طن حتى ؟؟ الصخور تغرقها ، تتخذ أشكالا غريبة : وجوه آدمية ، سيوف مشرعة ، بیارق مکسورة ، فیها یری کل شبر وطئه مع مولاه ، القرى ، الآمال في العيون ، بلاد الأفغان النائية التي شرعا في الرحيل اليها ، الهند ، البحار الجنوبية ، سفن صيد الحيتان ، رائحة العشب في النابات ، قرقرة النرجيلة فوق المساطب ، تطلع المسراس في بطاقات الغرباء ، في المسخور عيون واسعة قاسية فارقت رؤوس اصحابها ، ناطق الزمان صامت ، لماذا ؟؟ لايتحدث عن جيوش الأعداء التي رآها ، أو غضبة الأرض ساعة الزلازل ، الفيضانات ، الأوبئة تكنس البشر ، يسيح بعينيه عبر الأفق ، آيكشف حجب المستقبل ، ربما ضاع منه كتاب «الجفر» الذي يحوى كل شيء ، من بعيد يحبو عويل قطار ، يفاجئه حنين المسافرين ، شعور الغربة المكثف لحظة عودة الأمرى ، لماذا يسكت الامام ؟؟ لماذا يطل الحرمان من جديد ؟؟ الحارس النوبي فينظر اليه ولها خاشعا ، كأنه قضي في يالمار كله •

### \*\*\*

قال ان عسرية لانسدروفر ، تتجه الى احساء الصحراء ، ركابها أربعة ، يحملون اسلحة ، وآلات تصوير ، قبعاتهم تقيهم الشمس ، تابعها بيصره حتى اختفت وسط أعمدة الرمال الناعمة التى ترتفع من الأرض لتتصل بزرقة السماء ساعة الظهيرة ، تمطى فى الفراغ عواء ذئب ، قال الحارس العجوز ، كأنه يقسدم

تقريرا مفجعا ، ثمة طائرة حومت الى الشرق ، جرادة ضخمة ، يظن البحر مقصدها \*

### \*\*\*

سامى يرى نفسه الآن مصلوبا ساعة مغيب ، ينادى الامام أن يظهر ، يعيد ما انقضى ، كان كل ليلة يمضى الى مقهى مصطفى درويش بميدان الحسين ، يشرب الملبة، ينظر البنات المسرعات الى بيوتهن ، يرى رجلا مجذوبا يلف حول رأسم عمامة حمراء في لون الدم ، يلبس جاكتة عسكرية عليها شارات ونياشين • تجاورها اغطية زجاجات البيرة ، البيبسي كولا ، يرفع سيفا خشبيا ، يترصد أعداء يراهم هو ، يطارد آجائب خان الخليلي اذا ماحاولوا التقاط ضورة له ، صار يقف في الميدان، لمظلة النسروب ، ينادى الليسل آلا يقبل ، والنهار آلا يرحل ، يرميه الميال بالطوب ٠٠ «بلعو ٠٠ يلمو ٠٠» عند حارة الوطاويط رآه دامي الوجه ، يمسك احدى أسنانه بيده ، أي بشر يدنو منه ، هو عدو يبغي رأس المسين بسوء ، سأمى الآن يرى عنقه في قبضة جندى يسوقه الى غرفة المجز في قسم ، يلقيه بين اللصوص في غرف المجز " يسالونه لماذا جاء ، أي تهمة ؟ بماذا يجيب ؟ لايأخذه يأس ، يفتش تحت أخشاب الحجرة ،

وراء طلاء الجدران ، في القضبان التي تسور العمر ، في غرف التعديب ، في اللوريات الرمادية المغلقة ، تأتى امرأة سجين تناديه من الطويق ، يتعلق السجين بقضبان النافذة ، تحكى له عن اخبار العيال ، ذهاب . أخيها الى المحامي من أجله ، أمه بخير ، سيجذب سامي الرجل ، يتعلق بدلا منه ، يسال المراة ، عابري الطريق عن مولاه ، آه ، يشرقرق الحزن في عينيه ، يرى نفسه معتقلاً ، أو نزيلاً في مستشفى للأمراض العقلية ، ولو ٠٠ سيبحث عنه ، ربصا تخفى بين النزلاء ، في الأشجار المرداء ، في ذرات الرمال المرشوشة بالبول ، كل صباح يكتب خطابا الى هدى ، ينتظر مجيئها فجأة، تطبع أثر قدميها فوق الأرض التي مشيا عليها من قبل ، لكن • • لو القاه الأعداء فعلا وراء الأسوار من يزوره؟ من يحمــل خطــاباته ليلقيها ؟ من آين يأتي بطــوابـع البريد ؟ روح أبيه تحوم حوله ، يرى أمه وهما عند أشجان الفجر ، آه لو يقول كلمة ، صمته يلوى روحه ، يفيض أسياخا محماة في قلب سامي ، لو كلمة ، آه ياناطق الزمان ياامام ، العمر الطويل تمهيد للحظات الصمت هذه ، أهكذا ٠٠ بيساطة حادة مرهفة كعد السكان ٥٠ أهكذا ؟

خرا*پ* الجسور

(1)

« • عندما سمعت صوت اختى «سنوات» • على الطرف الآخر من التليفون تعجبت ، تساءلت عما جرى، لا لاحدثنى هنا اطلاقا ، تشير الساعة الى تجاوز الثالثة والنصف ، بدا صوتها بعيدا مما اجهدنى في التقاط الألفاظ •

- \_ من أى مكان تتحدثين ؟؟
  - تحت البيت -
    - ا \_ بیتنا ؟؟
- \_ طبعـا · من الاجــزخانة · بــاقى لك وقت طويل ؟؟

- حوالى أربع ساعات ٠٠ ثم أذهب الى الكلية ٠
  - ـ هل جری شیء ؟؟ ارفعی صوتك 🔹
- أنا مصرة ناكل معا أتمنى الحديث اليك •
  من مدة كبيرة لم نقعد على مائدة واحدة
  - \_ لايد فيه حاجة •
  - \_ أبدا والله نفسى أتكلم معك
    - ـ لكن ٠٠
- ــ ولايهمك أقضى شغلك ومهما تأخــرت أنا منتظرة •

لم آرها آثناء الحديث، لكن صوتها، تدفق الكلمات، أوحيا بالبهجة التى تزحم روحها ، رأيتها تقف، تحيط بوق السحاعة بيدها، صوتها خفيض، تشب على أطراف قدميها، تقطب عينيها اذ يرق حسها • • • نفسى أقعد واتكلم معك • • » تختلف مواعيدنا، تضمر أوقات لقائنا، تقل مرات أحاديثنا، أول النهار لا ألمح الا آثار عملها المبكر في البيت، نظافة الصالة، افطارى فوق المعينية الخضراء المنقوشة بورود حمراء، أطيل تأملها، ومتابعة فروعها المتشابكة، طبق فول، بيضة مسلوقة، ملح ناعم

مخلوط بفلفل ، آكل بسرعة ، لا انظف الأطياق ، «سنوات» تنفض الغبار عن الكتب ، تلملم الملابس ، تخصص يوم الشلاثاء للغسيل ، تنهى كل شيء قبل وصولي ، أعود متعبأ ، يضج النهار في رأسي ، زحام عربات وعرق ، وبحث في آدغال القواميس عن ممان مبهمة ، الوذ بقراشي الضيق في ساعة متاخر ، أسمع خطواتها الخفيفة ، تلامس مشاية اللوف في الطرقة ، تطل على ، تقف بباب حجرتى ، عيناى مفتوحتان ، لا أتحرك ، لا أنطق حرف ، أخبىء يقظتى ، أضيق بحروف خفيفة قــد نتبادلها ، تصغى ، ربمــا الى وقع انفاسي ، تتراجع على مهل مخلفة همسا من رائحتها في الغرفة ، استعدت ملامح صوتها ، «نفسي أقصد واتكلم ٠٠٠٠» أي مناسبة أو حدث ؟؟ في زحام حياتنا تفقيد المناسبات أجهل يوم ميدلادها ، أعرف ابريل لكنني لا أدرى اليوم ، لا نتبادل الهدايا ، توقفت عن ترجمة البحث ، مكاتب المساج مصفوفة أمامي ، في السقف تدور المروحة الكبيرة على مهل ، أي جدوي لهذه الدورات ؟؟ الحس يتمدد في الفسراغ ، استعدت هدوم البيت ، صورة أمي وأبي ، تطل علينا من اطار كبير ، طرقت صاح المكتب بقلمي ، • • • نفسي أقعله . واتکلم ۰۰۰»

بدا الليل غطاء كثيفا من غلربة وارهاق ، ارى ذرات الفراغ ، عاط بوق عياطا متصلا انقطع فجاة ، أى آمور شغلتنى ، أضعت حديث «سنوات» منى ، أى واقعة بالتحديد ؟؟ خروجى من المكتب ، تحسس جيوبى بحثا عن دفتر تليفونى ، ضيقى وعودتى الى الكتب ، اخراج مافى الأدراج ، فض المظاريف ، ثم يبرق خاطر كطلقة ، افتح المقيبة - آتناول الدفتر ، أقلب وريقاته، أضمه فى جيب قميصى ، كيف نسيت ماقالته ؟؟ بعد المحاضرة الثانية ، وقوفنا فى الطرقة آمام المدرجات ، مجىء مجدى يقضم رغيفا صغيرا سالته ، من آين ؟؟ أسار الى الخارج ، اعتبرت هادا عشاء يكفينى وسنوات» فى عينيها وحشة انتظار ، تقف أمام المطبخ، تمسك خصرها بيديها و

ــ قم واغسل وجهك · أعددت مايسرك · ولم أنس السلطة الخضراء ·

ينتصف الليل بعد قليل ، (قاوم ثقل جفوني ، لا أدرى ما الذى يحدث « سنوات » بخفة هكذا ؟؟ ربما تخبىء مفاجآة ، عضضت شفتى ، استعدت هزهزة الاوتوبيس ، تعلقت بعينين واسعتين تنظرانني

من فوق أحد مقاعد الدرجة الأولى ، نافيذتان شفافتان ، بيرقان يرفرفان على عالم فيه راحة . وأمان، ووعود غامضة بالوصول \* اتغذت موقعا مناسبا يمكنني مناطلالة عليهما \* أحيانا تعولهما صاحبتهما الىالطريق، كأنها تعرفنى ، وتعرف «سنوات» من أين جئت ، والى أين ؟؟ ازددت قربا ، في انسسيال النظرات نبل أسطورى ، ألغاز حضارة بعيدة \* تمنيت النزول ورائها ، أقف على سرها ، أفك رموزها ، تابعت نزولها، اعتذار خفى بكل كيانى ، المعاضرة بدأت فعلا ، هل سأراها ثانية في إي مكان ، متى ، تقول «سنوات» :

\_ آنظر هذه المجلة الانجليزية • منذ شهور قررت. أن أحد لك هذه الأطباق • لن تأكلها مرة واحدة طبعا • انما ساعدها لك صنفا صنفا ، وكلما سمح مصروف المبيت • مد يدك • تذوق • •

تضبت نميف أصبع كفته ٠

ــ الطبق كأنه تجسد خارج الصفعة •

\_ ولكن • •

مدت يدها ، اصبعها يلامس شفتى ، حركة تفيض أنوثة ورقة ، عاودتنى زرقاء المينين ، زرقة حقيقية ، نغمية ، راودنى يقين اننى ساراها فى الحلم \* \*  لاتخش المصاريف • تكاليف الطعام اليوم بدعوة منى • ياآخى العظيم • عندى بقية نقودى من جمعية قبضتها منف شهور • أنت مدعو الليلة الى العشاء •

تندق من عينيها حنو عظيم على ، المعلوة الطبيعية أن أقوم ، احتضنها ، أقبلها ، ثقال يحوشنى ، عواطفنا لاتعبر عنها بالقبلات ، حتى مرات سفرى النادرة أكتفى منها بملامسة اليد ، لانلوح بالأيدى ، ينعقد اللماب في فمى ، يبدو الطمام شهيا ، لكن \* هل أتساءل عن امكانية بقاء الطعام الى الغد ، تبدو مستعدة لحديث طويل بعدد العشاء ، «نفسى أقعد وأتكلم \* \* » أود اللجوء الى فراشى فى لحظة ، قبل خطوها الى الداخل \* ناديت \*

- ب سنوات ٠٠٠
  - التفتت
    - (٣)
    - لمعتها ٠

لم يغنى نظرى ، ولست معطئا · عند نهاية الكوبرى تتدفق المركبات ، يمكننى القفز من العربة

قبل المحطة • إستدير المقها • اتاكد مما رايته • يبدو النيل ، أمواجه تمضى فى وشبات لينة ، النهار لم ينتصف بعد ، لم تمض دقيقتان ، لاتكنيان للمبور الى الطرف الآخر ، اذن تعزكت الى هذا الاتجاه ، بالتاكيد لا تتابط ذراعه ، انما تمشى بجواره تماما ، يلوح بيده ، هى صامتة لكن ملامح وجهها تصل الحديث بينهما ، أدركت تعبيرات وجهها فى رؤيتى العابرة ، بخطى تقترب من الجرى ، حاولت دخول الحديقة • صدنى حارس أسمر اللون •

## ـ ممنوع · ممنوع ياأستاذ ·

لم أجادله ، لابد أنهما اتجها الى الطريق المعاذى للنيل ، ثلاث درجات بها تقترب الأرض من النيل ، مدت البصر ، بلاط مربع كبير ، التراب مخلوط بزهور جافة تتساقط ، رائحة نبات مهروس ، تموت هنا أصوات العربات ، الطريق قريب ، لكن ثمة هدوم متراخ في الفراغ ، لا أحد هنا ، كيف و في هذه الساعة من النهار ، حتى المشاق ناوا ، وباعة عقود الفل ، والترمس ، والزهور ، واللب ، ومتكدرى الخاطر المتصمين بهداة النيل ، تلفت ، يمتد الكوبرى كقلعة ضخمة من الصلب والأسفلت ، دعائمه تطعئ

النهر- ، تتحرك العربات بلا صوت يدرك هنا ، كان حاجزا غير مرئى يجمد الأصوات ، يحول المنطوق الى صامت ، أين ذهبا ، تأخذني رغبة حادة لأراها الآن ، أمد لها يدا ، أتعرف اليه ، أطلب منها أن تجيب ، هل تحبه ، هل تحبه فعلا ؟ أساله ، هل يحبها ، أمسك أيديهما ، آميل ، أقبلها ، أنتحى بها ركنا ، أصغى الى كل ماتخبئه ، « • • نفسي أقمد وأتكلم معك • • » أخفف عنها ، ازيح ثقلاً تنوء به ، ربما دعوتهما الي عصب فاكهة في الكازينو القريب ، نمشى ثلاثتنا ، ياه ٠٠ لم نخرج آبدا للنزهة منذ وقت بعيد ، لم ندخل سينما، لم نزر أحد أقاربنا معا ، لا أعرف أسماء صاحباتها ، رأيت بعضهن في البيت ، بتحفظ صافحتهن ، تجهل أصدقائي ، زملائي في قسم الدراسات العليا ، لا أتساءل عن الاماكن التي أتردد عليها ، أبدا . سأصارحها الآن بضرورة اقترابنا ، لن أمضى إلى الكلية لكن الطريق موحش ، الزحام قريب والخالاء هنا عجيب • عيون النيل الخفية تنظرني ، ريح خفيفة تحرك أوراق الشجر ، ربما رأيت اسمطورية العينين الآن ، ساتقدم منها ، أحدثها عن «سنوات» ، نبحث عنها معا ، فوق النهر يمضى مركب شراعي متمهلا ، لم ألمح فوقه انسانا ، لا أدرى أين ذهبت سنوات • أين صاحبها ، اين تقيم زرقاء العينين . آين تغفى أسرارها ، يهبط قلبى بمقدار قبضة يد ، ربما تركب قطارا يحملها الى مدينة آخرى ، ربما سافرت الى بلدة بعيدة لن آذهب اليها قط ، تحادث غرباء وتناجى غرباء ، ربما ٥٠ ربما رحلت رحيلا آبديا ، ثلاثة أيام مضت على رؤيتها ، مايمكن وقوعه خلالها كثير ، أما سنوات ، آين ، وكاننى آلمها ، لم آود الاصناء الى ماتكنه الآن ، آثق فى رؤيتها ، آدركنى عجز وناء بى

ــ سنوات ۳۰ سنوات ۲۰۰

(٤)

رأيتها تقف بالباب ، أنهيت اضطجاعي ٠٠

ـ تمالي ٠٠

أومأت مرحة ، جلست عند طرف السرير ، تبسط راحتيها ، تضمهما ، تدسهما بين ساقيها ·

- \_ سأعطلك
  - \_ آيدا -
- عموما قررت الليلة ألا أنام حتى أراك
  - ب خيرا ٠

- بدلال هزت رأسها
- \_ أسا ٠٠ أراك ٠٠
- أطرقت ، على مهل تقول :
  - \_ وأتكلم معك •

تتاهب للافضاء بما تود البوح به • في هذه اللحظة آدركت آنني نسبيت تصاماً ملامح زرقاء المينين ، اختلطت بالزحام ، وآشجار حديقة الأورمان والخضرة الخصبة ، لكنني لم آفتقد خلاصة المعاني ، أين ذهبا اذن ؟ كيف ضاعا مني ؟ رآيت آلا آفاتحها في الأمر الليلة ، ربما امتد الحديث وتشمعب الموضوع ، لست متآهبا للاستفسار والمتاقشة ، جاءت بنفسها ، هل لمحتني أثناء بحثي عنها ، منذ آيام آخفت ضيقها ، حتى الآن لم ناكل معا ، آول آمس ، قالت انها لن تدع يسوم الجمعة يفلت ، ستغلق الباب ، لن تسمع لى بالحروج ،

- ــ هل أعطلك ؟؟
  - أيدا أبدا -

تعض شفتها السفلى، بعركة خاطفة تتربع فوق السرير، نظراتها جانبية ضاحكة، لم اعتد هذا الخبل

الأنثوى ، عندما أنظر الى صورها أثناء الطفولة ، لا أتعرف فيها على مقدمات هذه الأنثى التي تفيض حبوية \* تستمد للحديث \*

ــ تعرف ؟

لفظة نطق الكلمة ، بلا قصد ، نظيرت سياعة معصمي ، تمضى العقارب الى الثانية صباحا ، قامت • \_\_ واضح أننى أعطلك •

بريق المماسة خبا في عينيها ، الألفاظ صرعت عند طرف لسانها \* تدلت يداها ، قطعت حبلا يصل الأشرعة ، مزقت وصلا كاد يتم \* \*

\_ أبدا • انتى أسمعك •

عبثا تلتئم الضفاف ، أعطبت ودا رائقا في عينيها \*

ــ أعرف مشاغلك ، لن أعطلك •

فى صوتها خيبة من آوشك على بلوغ المراسى ، ثم اكتشف وعورة القيمان ، نتوات الصخر المجرى ، فعلا سألقى راحتى بمفردى اتمدد قبلك ، استدعى حوادث يومى ، أرقب دولاب الكتب فى العتمة ، قبل خروجها صحت :

۔ یاہ • کدت آنسی • خیال لی آننی رایتك فوق کوبری قصر النیل عند الظهر • •

- أنا ؟؟ أبدا - أنا لم أفارق عملي اليوم كله -يمكنك أن - •

تبدو فرحة قليلا بتلميعى ، صدور اهتمام من جانبى ، ربما استعادت حماستها ، تعود الى الجلوس ، تعدينى عما تكتم ، آبدا ، الصدا يخنق البريق ، تثاءبت، أغدقت حنوا على صوتى •

\_ أبدا ياسنوات • يكفى قولك هــذا • خيــل لى وقط •

(0)

لا أدرى كم نمت ؟ فى هدأة الليل أذ يدركنى قلق، أعود جنينا أتلمس جدران الرحم ، يثقلنى همود الليل، بينما يعدو النهار فى رأسى ، آرى مالم أتوقف عنده فى يومى الراحل ، أستعيد ملامح عجوز يمشى مرتجف الخطى ، يوشك أ نيقع ، بعد آيام آدركت هدفه ، فتاة سمراء صغيرة ترتدى زى المدارس الثانوية ، تطل من حقيبتها كراسات ، ومسطرة ، وعلبة آلوان مائية ، يعترب حتى يحاذيها ، يبتعد ليمود من جديد لحظة

وصول أتوبيس ، تنتشر الحركة بين الواقفين ، يزداد قربا منها ، اليوم سمعته يلقى تحيــة مقتضبة خجولة «صباح الخير» أسرع مختفيا ، تنظر الفتاة الى الأمام ، لايعنيها مايدور حولها ، الآن ٠٠ تطل زرقاء العينين ، السمات ضائمة ، لكن الجوهر لم يفتقد ، تنظرني من اطار باهت قديم ، لحن غير منطوق يأتي من جزر بعيدة، لغز من حضارة قديمة لم يحل ، أضعتها بسهولة ، في المكتب أثقلني وجودها داخلي ، قام جلال زميلي ، اقترب منى ، شكا الى ألما في كليتيه ، قلت اذهب الى الطبيب لعمل أشهة ، وددت لو ابتعد عنى ، عدت باحثا عن معنى المينين ، أمسك يسدى ، لامست جنب الأيسر ، ضغط أصابعي ، هز رأسه ، ليست هي السبب ، قلت ماذا اذن ؟ مال الى هامسا ، قال انه منف ليلتين فتح النافذة ، لا عمارات أمامه ، يطل على خالاء وسيع ، أصر أن ينام مع امراته في ليلة الصيف الحارة هــذه ، ثمدد بجوارها حوالي العاشرة والربع بالضبط ، يذكر الوقت تماما ، التحما ، التمسقا ، احتكا ، مثيرات ومقدمات ، كم استغرق ؟ خمس ساعات كاملة ، حتى كادت تجن ، وعندما صرختُ من اللَّذة كان المرق يبلله تماماً ، أثناء الحديث صوته يتمهل ، يبدو بطيئا يبتلع لعابه ، اصغيت ، يلقى متعة في قص التفاصيل ، قال:

بالتأكيد نسمة برد.هي السبب ، اذ حدث في حوالي الثالثة والنصف بعد استلقائه هامدا ٠ آن هبت رقائق هواء نفذت كالابر الرفيعة الى كليتيه • قلت يستحسن الاسراع بالملاج ، البرد في هذه المناطق وعر وخطر ، لابد من الذهاب الى طبيب ، قام . بعد ساعات عاد الى هامسًا ، خمس ساعات ، أي والله حتى كدت أجن ، راودني حنين الى آسرة وأطفال ، أنثى في متناول اليد. لم أسال «سنوات» عن أفكارها حول الزواج ، الرجل الذى تنوى قضاء بقية عمرها معه ، صورته في ذهنها، ربما احد زملائها ، لا أعرف واحدا منهم ، لم أزرها في الممل مرة ، غدا سأسألها عنهم ، عن ممارقها ، غدا بعد عودتي ساوقظها لو وجدتها نائمة ، نجلس معا ، نتبادل الضحكات ، آمس كنت قاسيا ، غليظ القلب ، عندها ماتود قوله ، لم أصنغ ، الآن ٠٠ يترامي من بميد صوت قطار يعبن الخط الحديدى القريب ، بدا الصوت مطأطأ كأنه لن ينتهي ، في أويقات أرقى يثير في هذا الصوت حزنا ، وذكرى آياما غائبات ، آرهفت السمع \* باب حجرة «سينوات» يفتح ، التقط صريره الضبئيل في نهاية الطرقة ، تتجه الى الدورة ، لم تضيء المصباح ، هل أقوم ؟ أقفز أمامها فجأة بعد فتح بابي ؟ دعابة من. دعابات الزمن البعيد ، في البداية ستبدى انزعاجا لكنها تضعك ، نتعانق ، صوت ورق يمزق ، ماذا تفعل «سنوات» ؟ لم يغلق باب الدورة ، واضح أنها تقف أمامه ، أوراق تمــزق قطعا صــغيرة ، يبطىء صــوت التمزيق اذ يزداد سمك الورق فيصمب تقطيعه ، تشد «السيفون» تتدفق المياه بسرعة عالية ، اتخذت من طشيشها ستارا لنزولي من السرير ، أصنب من خلف باب حجرتي ، آي آمر يعدث ؟ يد طويلة الأظافر خمشت قلبی · تبکی «سنوات» بصوت عال ، نشیجها بصلنے واضعا ٠ أرى جسمها يهتز ، تذرف دمعا ، حتى رأيتها تبكى ؟؟ لحظة انزال «والدنا» غرفة الدفن ، اندفاعها المفاجىء ونواحها الملتاع ، آيدى الحريم تمتد اليها ، تحوشها ، تمنعها • «سنوات» الآن تبكي ، جاءني صفير القطار من بعيد خيطا متسلخا متعبا ، يذوب في الليل، عندما انتهى آحدث خوام كونيا وحشيا صارما يثقلني، لم أدر هل بقيت في الصالة ، هل عادت الى غرفتها ، هل تقف مكانها ؟ تلملم ماتناثر من قماصات لتعاود أبادتها ، هل ارتابت في قيامي فأخرست نوحها ؟ هل سمعت فعلا حسركة قدميها وطشيش المياه ، غسدا • • استفسر وأعرف ٠٠ طلعت السلم بسرعة ، لن آذهب الى الجامعة ، سنخرج مقعدين الى الشرفة ، نجلس مما ، لن تضايقنا الشمس ، تواجه الآن جانب البيت الآخر ، تدثرنا ظلال حانية ، ناكل معا ، نتحدث ، نتحدث ، «نفسى آقمد وأتكلم معك ٠٠» لا أنسى هزة صوتها عبر الأسلاك ، أصغى اليها ، أقول وكان حديثى يبدو عابرا ، خيل لى فى الليلة الماضية أنك قلقت ، وانك تبكين» •

\_ أهلا • أي مفاجأة •

افتقد رائعة البيت في مثل هذا الوقت ، عبير الاستقرار ، رائعة الأثاث ، والنسيل ، وطعام طهي فعلا ، حملت المقيبة عنى ، لاتتحرك بخفة ، افتقدت بهجتها ، عندما نبدا حديثنا ستتبدد الوحشة ، بابحجرتها مفتوح ،

ب الله ٠٠ عندك ضيوف ؟

ـ سهام صاحبتی • تعال آعرفك بها • تعال •

قامت سهام ، تبدو خجلة ٠

أخى ياسهام ٠

فاجأنى افتقاد زرقاء العينين ،كريستالية النظرات؛

غظات في مركبة عامة ، عمر طويل من علاقة لم تتصل، طاقة قدر في سماء فسيحة ، تبرق لحظة ، لايراها الا صافى القلب ، فوق السرير مجموعة من صورى ، تعرضها سنوات على صاحبتها ، ،

ـ لاحديث لسنوات معنا الا عنك • عرفناك قبل أن نراك •

ـ ياه ٠٠ سنوات تبالغ ٠

تراجعت برأسها الى الوراء ، تقول \* بجرأة تمحو آثار الخجل الأولى \* \*

- أبدا ٠٠ ياسلام ٠٠

هل طالعتنى عيناها فعلا ؟ هل رآيت وسنوات الحودها كوبرى قصر النيل؟ تشب على آطراف اصابعها ، تعاودها سعادة ، تود لو بقيت معهما ، عدت الى المالة ، تنف رائحة البيض المقلى " قالت انها لم تعسرف نيتى فى العودة مبكرا ، لم آقل اننى رغبت فى المديث معها ، أسألها و تجيب ، قالت انها لم تشتر بسطرمة لكنها تقول البيض و الجبنة كافيين " عادت الى سهام ، سمعتها تقول انه يرهق نفسه كثيرا ، يخرج من مكتب الترجمة الى الكلية ، يواظب على المحاضرات ، قالت انه لن يهدا

حتى يعصل على الدكتوراه، بعد الماجستير، قالت بصوت خفيض ، اوقفت مضغ اللقيمات ، آن آخاها مثابر ، قالت سهام كلاما لم آتبينه ، ضحكت سنوات ، عاودنى المصوت خفيضا ، تتوالى دقات هاون نحاس من الطابق الملوى ، خطر لى القيام والزعيق مطالبا بالكف ، الوقت عصر ، البعض يغفو من عناء • سيبدو هذا منفرا ، عادت سنوات تضحك بهدوء ، ضحكا رائقا تذكرت بكاءها ليلة آمس ، بدا قضاء المصر في البيت مقبضا ، نظرت ساعتى ، يمكنني لحاق المحاضرات •

(Y)

يبدو الحديث مصحوبا بعسدى ، تنسال الرؤيا ، تقول سنوات انها ستدعونى ليلة ظهور النتيجة ، سترتدى فستانا لامما ، آبيض محلى بلآلىء صسغيرة ، دقيق كايماءة راس ، تتأبط ذراعى ، ندخل معا ، نذهب بعد المشاء الى مسرح أو سينما • سكتت لحظة ضئيلة كثقب ابرة ، فى بريق البهجة آلمح الأسى ، فى تدفق الألفاظ آرى تعش الممانى واختناقها ، شىء ما لا أقدر الامساك به ، يدفع مرارة مقطرة الى ركنى عينيها ، كنها أهينت منذ قليل ، ثم كتمت ماحاق بها ، فجاة سألتنى : ألا تفكر فى السفر ؟؟ قلت : الى أين ؟؟

سفينة لنرى ركنا من الدنيا ، نواجبه البحس والمدن النائية والغرباء ، نوقف الناس ونتعرف اليهم . نقيم المسلاقات ونكتب العناوين ، نناقش الركاب في بفندق قديم ، نستميد طفولتنا، ملامح آيامنا الفائمة ، ننكر حديث والدنا عن استانبول ، رحل اليها في شبابه آثناء عمله مدرسا ، سنوات تذكر بريق عينيه استانبول ، حواريها الفسيقة ، لكنة الآذان الغريبة ، قالت : نبدأ باستانبول ، مارآيك ؟؟ آومات موافقا ، رفعت ذراعا مصدودة الى آعلى ، لندخس المال ، لئ أضايقك ، ابتسمت ، لو رآيتك معجبا بفتاة ما فلن أضايقك ، ابتسمت ، لو رآيتك معجبا بفتاة ما فلن وكأنني لاأشغل حتى جزءا من الفراغ ، آبدا ،

 $(\lambda)$ 

يرسل المصباح ضوءا واهنا كالوحدة ، البيوت مصلوبة في سواد الليل ، اربعة رجال يقفون امام البيت ، أبطأت خطاى ، طفلة صغيرة تلمعنى ، تصرخ \* ـــ أبلة سنوات \* أبلة سنوات \*

أحاطت ساقي بيديها ، ابنة عم محمد البواب ،

تقدموا ، رآیت الشارع ، بلاطه المضلع ، الهواء فی الفراغ ، رائحة غسیل منشور ، رآیت آحد الرجال مرتدیا حلة زرقاء بصفین من الزرایر النحاسیة • رآیت استانبول ، الصور القدیم ، فی احداها احیط سنوات بذراعی ترتدی عقالا عربیا ، آشهر مسدسا بینما یبدو وجهها الطفل راثقا ، رآیت الرحیل ، الأطباق منکفئة فوق طعام بارد ، بینما یهبط داخلی ثقل من رصاص •

\_ بقیت هنا منطاة آربع ساعات • لو نمرف تلیفونك لاتصلنا یك •

\_ الاسماف لم تنقلها •

\_ آخذوا عم معمد البواب لسماع شهادته • هو الذي رأى كل شيء •

\_ كان يقف لحظة •

تنفصل الطفلة عنى ، لا أقدر على النظر الى أعلى ، الى شرفتنا ، رأيت شرفات السلالم لامعة • موضع المينين تجويف خال من الزرقة • انتحت الطفلة ركنا، مثلى تماما ، لم تر لحظة مجيئها الى المالم ، ولا لحظة رحيلها عنه ، لاأتبين ملامح الطفلة ، لا أدرك أصوات المتحدثين ، يدمينى النشيج الوعر •

\_ أه \* أبلة سنوات \* أبلة سنوات \*

### قهرس

									الم	سفحة
•	وقائع حارة الطبلاوى	•	•	•	•	•			٠	٣
•	منتصف ليل الغربة	•	٠,	٠	•	•	•	٠	٠	44
•	ناطق الزمــان •	٠	•	•	•	•	•	٠	٠	71
_	خران الحسرين									.0 1

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٤/٤٥٧٤ ٤ \_ ٣٤٤٠-١١ \_ ٧٧٧ ما

## تصدر أول كل شهر

«منتصف ليل الغربة» .. هى المجموعة القصصية السادسة للكاتب الكبير «جال الغيطان» ، الذى لفت إليه أنظار القراء بمجموعته القصصية الأولى : «أوراق شاب عاش منذ ألف عام» ، ثم بمجموعاته القصصية التالية ، ثم برواياته الأربع ، وأيضاً بتحقيقاته ومشاهداته كمراسل حربي صحفى وأديب . والغيطان ذو صوت متفرد ، تأثير في لغته بلغة ابن إياس ، والغيربيردى ، وكتب المتصوفة ، وأخضعها قصصياً لوسائل فن القص الحديث ، خاصة المنولوج ، والتداعى وتفتيت اللحظة ، وتداخل الأزمنة ؛ فهو وثيق الصلة بمعطيات التراث التاريخي ، والصوفى ، وكتب الأخبار والأسمار والمقامات والحكايات في تراثنا العربي ، والأزمنة الماضية عنده سيالة ومتدفقة تصب في قلب الحاضر ، وشخوصه ، على عذه سيالة ومتدفقة تصب في قلب الحاضر ، وشخوصه ، على الحلاص ، والتوق إلى مستقبل وريف .



